مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية)

الجهود العسكرية للجيش المصري وآثارها الاقتصادية والعمرانية في مصر (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م)

د. عزيزة زايد مصطفى عبيه

مدرس بقسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة المنوفية

DOI: 10.21608/QARTS.2022.115745.1344

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٦) يوليو ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الجهود العسكرية للجيش المصرى وآثارها الاقتصادية والعمرانية في مصر

(٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م)

الملخص:

برز دور الجيش المصرى فى عهد أحمد بن طولون، بتأمين حدود مصر الخارجية شرقا مع العباسيين والبيزنطيين، وجنوب مصر وغربها، والقضاء على الفتن والثورات؛ مما أعطاه الفرصة لإنجاز العديد من المشروعات التنموية الاقتصادية والعمرانية فى مصر ؛ فاكتسب بذلك ثقة الجيش وقواده، وكذلك غالبية فئات المجتمع المصرى؛ لذلك عد الجيش المصرى آنذاك أحد أهم المحاور الرئيسة فى مصر، الأمر الذى مكن ابن طولون من جعلها كيان خاص داخل الكيان الإسلامى العام – الدولة العباسية– ومستقلا بأمورها كلها؛ فأصبح نموذجا سار على منواله كل من حكم مصر واستقل بها من بعده.

الكلمات المفتاحية: الجيش المصرى، أحمد بن طولون، المشروعات التنموية.

مقدمة:

ظهر دور الجيش المصرى داخليا وخارجيا عندما استقل أحمد بن طولون بمصر حاكما وقائدا أعلى لجيشها سنة ٢٥٤هـ-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م[١]، ومثلت مدة حكمه بدايات الأمن والاستقرار؛ مما مهد لتحقيق إصلاحات كثيرة، فكان إنشاء الجيش المصرى أحد أهم العوامل الرئيسة فى تنفيذ خططه العسكرية والتنموية، والتى من خلالها شعر أهل البلاد بالسيادة وروح الخصوصية والقدرة على حماية البلاد من مطامع الأعداء؛ ومن ثَمَّ استقرار واستقلال مصر عن الخلافة العباسية، وإشعار القوى المعاصرة بدور مصر الريادى آنذاك وقوة الدولة المصرية.

أهمية الموضوع ومنهج الدراسة:

ومن دواعى اختيار هذا الموضوع، محاولة إلقاء الضوء فيما يتعلق بجهود الجيش المصرى فى عهد ابن طولون؛ لبسط سلطانه على مصر والشام وثغورها؛ فأصبحت مصر مركز قوة للعالم الإسلامى؛ مما أدى إلى الثراء ومن ثم التنمية فى مصر، وتعد تلك التجربة محاولة لإيجاد ارتباط وثيق الصلة بين جهود الجيش العسكرية ودورها في حركة الإصلاح الشامل، واتبع الباحث **المنهج التحليلى** للنصوص التاريخية واستنطاقها؛ للوصول إلى كيفية تأثير الجهود العسكرية للجيش المصرى عهد أحمد بن طولون على النواحى الاقتصادية والعمرانية.

مصادر الدراسة:

استعان الباحث بالعديد من المصادر التى تخدم الدراسة منها **البلوى: سيرة أحمد بن طولون**، تحدث فيه عن أحمد بن طولون ونشأته وكيفية وصوله إلى مصر، ودوره فى تأسيس جيش قوى مكنه من القضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية، وتأمين مصر

خارجيا، وتوطيد العلاقة مع الخلافة العباسية، **وابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون** نقلا عن ابن الداية، تناول فيه نشأة أحمد بن طولون، ووصوله إلى حكم مصر، بالإضافة إلى **المراجع الحديثة العربية والأجنبية.**

الدراسات السابقة:

اتضح أن المادة العلمية فى الدراسات الحديثة، التى تناولت هذه الفترة رغم كثرتها؛ إلا أنها لم تلق الضوء فيما يخص الورقة البحثية المطروحة، ولم تبرز أن الجيش المصرى آنذاك كان عاملا رئيسا في نجاح المشروعات التنموية في مصر؛ لذلك حاول الباحث قدر الإمكان سبر غور المادة التاريخية لتأكيد ذلك، وعلى الرغم من هذا لا نحاول التقليل من قيمة هذه الدراسات ولا غيرها، وإنما الهدف هو محاولة فهم جهود الجيش المصرى وتأثيرها الحقيقى خارجيا وداخليا في البنى التحتية لمصر آنذاك، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر :- دراسة سيدة إسماعيل كاشف: أحمد بن طولون. حيث تحدثت عن مولد ونشأة أحمد بن طولون، ووصوله إلى مصر وتكوين جيش قوى؛ إلا أن الإشارات عن تأثير جهود الجيش المصرى على النواحى الاقتصادية والعمرانية في مصر وخارجها كانت مبعثرة وقليلة، ودراسة عبد الرحمن زكى: الجيش المصرى في العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة، يتناول في إشارات سريعة الجيش المصرى عبر العصور المختلفة، ولم يبرز آثاره الاقتصادية، ودراسة نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، تناولت في هذه الدراسة النظام العسكرى في الدولة الطولونية، وكيفية تأسيس الجيش، بيد أنها لم تبرز آثار دوره العسكرى على النواحى الاقتصادية والعمرانية.

وعلى ما يبدو لعب القادة العسكريين وجيوشهم الإقليمية، دورا كبيرا فى استقلال الإمارات عن السلطة المركزية للخلافة العباسية، وكان لأحمد بن طولون الفضل فى تكوين الجيش المصرى، تحت إمرته فى مصر، الذى ساعده كثيرا للاستقلال بحكمها منفردا، وانتقل به من العهد الذى كانت ترسم فيه السياسات فى حاضرة الخلافة، ثم تحمل إلى مصر؛ لكى ينفذها الولاة، إلى عهد تتبع فيه سياستها من حاضرتها ووفق ظروفها، سواء رضيت الخلافة عنها أم لم ترض، وهو انتقال من عهد الوالى المحدود السلطان، إلى عهد الأمير القوى الواسع السلطان، الذى يسانده ويؤيده شعبه وجيشه وأسطوله، تأتمر بأمره وتحقق أهدافه وطموحاته[٢]، فهذا لا يعنى الخروج من التبعية للخلافة والانعزال عنها؛ بقدر ما هو تحرير الإرادة الوطنية المصرية من القيود، وكان الجيش المصرى منذ تأسيسه جيش حرب وسلام، إذا كانت الحرب خرج لتحقيق أهدافه، ولعب دورا رئيسا فى التوسعات التى قام بها ابن طولون، وردع الثورات والفتن، وإذا كان السلام كان عدته لإقرار الأمن والطمأنينة، وتهيئة المناخ العام فى البلاد للتنمية، وبذلك وجد ضالته المنشودة لتنفيذ خططه في الاعتماد على الجيش؛ لذلك ارتفعت مكانة مصر والمصريين عاليا وسط الإمارات المستقلة والمجاورة كافة؛ لذا كانت أهمية هذا البحث للكشف عن جهود الجيش ودورها فى التنمية[3] فى مصر خلال عهد قائده الأعلى أحمد بن طولون.

ونظرا لأهمية الدور الاقتصادى فى نماء وقوة مصر، اخترت أن يكون الجيش المصرى بجهوده العسكرية لا سيما أنها كان لها دورا فى المشروعات التنموية، محور هذه الورقة البحثية؛ لكشف هذا الدور وتأثيراته؛ لتقديم صورة واضحة ونموذج صحيح للجيش المصرى وقت السلم، ملتزما بمبادئه والقواعد العامة لمهامه الأصيلة، وهو أحد أهم المكونات الرئيسة فى المجتمع المصرى، وبيان مدى إسهاماته فى تطوير مجالات التنمية المستدامة – بالمفهوم المعاصر –[4] فى مصر خلال هذه الفترة.

١- أحوال الخلافة العباسية ومصر قُبَيل وصول ابن طولون لمصر:

ضعفت الخلافة العباسية فى عصرها الثانى؛ بسبب الفتن و الصراعات؛ بعد غلبة العنصر التركى فى الجيش والقصر الخلافى وسوء معاملاتهم للخلفاء؛ كل ذلك قَوَمَّ من سلوكيات بن طولون، من حيث الولاء العميق للخلافة، فكثيرا ما كان يلومهم على أفعالهم تجاه الخلفاء، ويبدو أن نشأته لا شك صنعت تصرفاته، وكذلك شاع تدخل النساء وحاشية القصر فى الشئون الإدارية، وقامت ثورة الزنج وثورات العلويين وصراعات الأتراك؛ مما أدى إلى الفوضي والاضطرابات(٥)؛ ومن ثم بدأت موجة استقلال الإمارات البعيدة عن السلطة المركزية، وتحولها إلى دويلات مستقلة، فقامت فى مصر الدولة الطولونية، وأنشأ بن طولون الجيش المصرى، كقوة عسكرية قادرة على مواجهة التحديات وتحقيق الطموحات.

أما عن الأحوال المضطربة السائدة في مصر سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م قبيل مجيئ بن طولون، هى السنة التى ولى فيها أربعة أمراء عليها، ففى أول محرمها مزاحم بن خاقان(٦)، ثم ابنه أحمد بن مزاحم(٧)، ثم الأمير أرخوز بن أولوغ طرخان التركى تولى إمارة مصر باستخلاف أحمد بن مزاحم له، فأقره الخليفة المعتز بالله، وجعل إليه إمرة مصر جميعها، كما كان لمزاحم وابنه من قبل، ودام أرخوز على مصر، إلى أن صرف عنها، بالأمير أحمد بن طولون سنة أربع وخمسين ومائتين(٨).

وكما يتضح مما سبق أن المناخ المضطرب للخلافة العباسية ومصر، ساعد على وصول ابن طولون لحكم مصر(٩)، وتجدر الإشارة إلى قول الخليفة المستعين بالله لأحد خدمه بعد أن سرد عليه قصة ابن طولون وحمايته للجماعة التى كانت تحمل هدايا المستعين:" احمل هذا المال ألف دينار إليه وعرفه محبتى له، وأنى راغب فى اصطناعى

له، إلا أنى أخاف أن يظهر ما بقلبى له، فيقاتله الأتراك"[١٠]؛ مما يؤكد ثقة الخليفة فيه، ورغبته في ائتماره على مصر.

٢- السمات الشخصية لقائد الجيش ابن طولون:

ساهمت السمات التى تميز بها ابن طولون وبخاصة العسكرية منها، فى تحقيق النمو والثراء، لا سيما أنه أَمَّنَ نفسه بتكوين جيش "نظامى" عنى بتأمين مصر وحدودها، وإقرار الاستقرار والأمن الداخلى، ومع توافر الموارد؛ استطاع أن يحقق التنمية الشاملة فى مصر، فى النواحى الاقتصادية والعمرانية، وكذلك اكتسابه ثقافة دينية عميقة؛ قربته من فئات الشعب؛ جعلته يعطف على الفقراء والمحتاجين منذ نعومة أظافره، ومكنته من قلوب الأولياء[١١]، وأدت نشأته العسكرية؛ إلى تميزه بين أقرانه بالقوة والشجاعة والدهاء فى الحرب، وعقب وفاة أبيه ٣٤٠هـ/٩٥١م؛ فوض إليه الخليفة المتوكل مكانة أبيه فى الحرس الخلافى[١٢]؛ فأصبح فى زمرة المحاربين الترك، واندمج فى حياتهم[١٣].

كذلك اكتسب ابن طولون من الخبرات؛ ما أهله ليكون شخصية سياسية واعية، وقائد عسكرى فذ، جمع بين السياسة والحزم والتخطيط الجيد لأهدافه، مستعينا بكافة فئات المجتمع؛ فنجح في استمالتهم، وقد ورد فى كتاب البلوى أن أهل مصر ينقادون لمن يعتقدون فيه الإخلاص لهم، والحرص على إسعادهم، وإذا كانت حسنات راعيها أكثر من سيئاته؛ ارتضته وتبنته وسايرته فى السبيل التى يزجيها فيها[١٤]، وتذكر المصادر التاريخية فيما يرتبط بإدارته العسكرية، أنه عندما دخل طرسوس[١٥] وهو الأمير، غلا بها السعر واضطرب أهلها ونابذوه، فأمر جنده بالتخاذل أمامهم والانهزام؛ ليعلم إمبراطور الروم أن قوات ابن طولون رغم عظمتها وقوتها؛ انهزمت أمام أهل طرسوس؛ فلا يستخف الإمبراطور بهم أو بثغرهم المنيع المواجه للبيزنطيين[١٦]، وكان هدفه استمالة أهل هذا

الثغر؛ ليكونوا سدا ضد إغارات البيزنطيين على الأراضى التابعة له؛ ليسهل عليه السيطرة على خطوط التجارة؛ مما يؤكد أنه كان سياسيا ماهرا ومحاربا وإداريا كفئاً، حيث استمال أهالى المناطق الثغرية، وتقرب من عناصر الأجناس المتنوعة في مصر، واصطفى أفضلهم كقوة مكونة للجيش.

٣- عناصر الجيش المصرى ودورها الأمنى:

تعددت العناصر التى سكنت مصر، فكان المسلمون من نسل العرب أو الموالى الذين وفدوا إلى مصر واستقروا فيها، وكذلك القبط واليهود الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، ومنهم من هم من بعض بطون البربر استقروا غرب الدلتا(١٧)، وكان العرب العلويين ممن استقروا فى مصر تحت أعين ابن طولون الذى كان يترصدهم، ليس من منظور دينى، ولكن بوصفهم عنصرا من عناصر الفوضى(١٨)، ولم يفرق الدين بين المصريين فى الشعور بأنهم نسيج واحد(١٩)، وذكر ابن الداية أن ابن طولون عنى بدير القصير، حين شدد ابن المدبر على رهبان ذلك الدير فى دفع الجزية؛ فشكوا إلى أحمد بن طولون؛ فأعفاهم منها، وكتب لهم بذلك، ونبه عليهم بألا يستخدموا هذا الكتاب كسيف، وإنما يظهروا الخضوع ويبلغوا أمر الكتاب لابن المدبر فى هدوء؛ مما يؤكد رغبته فى التقرب لكل فئات المجتمع المصرى؛ للمساكنة والمعايشة بينهم مع الحزم(٢٠).

وتمكن ابن طولون من تكوين جيش كبير العدد والعدة، فلا يمكن أن ينجح الإصلاح بدون قوة تحميه، فأصبح لمصر جيشا نظاميا مستقلا عن الخلافة، وولائه وطاعته لأمير مصر مباشرة، فيذكر المقريزى أن جيش ابن طولون بلغ أربعة وعشرين ألف مملوك من الترك، وأربعون ألف من السود(٢١)، وسبعة آلاف حر مرتزق(٢٢)، والبقية من أجناس أخرى(٢٣)، ولا نستبعد أنه استعان بفريق من الجند المصريين؛ لميله لأهل

البلاد وتقريبه إياهم، وكان يغدق عليهم بالأموال[٢٤]؛ لعدم أمانه للعنصر التركى في تجربة الخلافة السابقة، واستخدم كذلك البعض من العرب في جيشه، والذين قد تمصروا باتخاذهم مصر دارا ومقاما لهم، ومن النوبيين وكان عددهم أربعين ألفا، وأسكنهم حى يعرف باسمهم، كما استعان بالديالمة والمماليك[٢٥]، وكان هدفه من هذا التنوع هو عدم سيطرة عنصرا واحدا على الجيش، فكانت رغبته أن تألفه جميع العناصر دون تمييز.

وكان ابن طولون يفضل العنصر المصرى على غيره في الجيش والوظائف الإدارية؛ مما يدل على بعد نظره؛ محاولا كسب ود وثقة المصريين، فحدثَّ أحمد بن خاقان وكان صديقا لابن طولون:" لما استكتب أحمد بن طولون جعفر بن عبد الغفار، اضطرب بما حمله فقلت له يحتاج موضع هذا الكاتب من هو أوفى منه وزنا فقال لى أنا احتمله لأنه مصرى، فقلت له أراك أيها الأمير تفضل الكاتب المصرى على الكاتب البغدادى، قال لا والله ولكن أصلح الأشياء لمن ملك بلدا أن يكون كاتبه منه وأن يكون شمل الكاتب فيه فإنه يجتمع له فى ذلك البلد أمور صالحة .....[٢٦]، وجعل ضباط هذا الجيش من الترك المقربين إليه، وكان تدريبهم جندا وضباطا شديدا وشاقا، وكان ابن طولون يغدق عليهم المال بوفرة، وكان فى بعض الأحيان يمنح راتب سنة منحة خالصة لهم، وكانت فتوحاته؛ سببا لفتح الباب أمامهم فى الثروة والجاه[٢٧]؛ لذلك لم يقم قادة الجيش وجنوده بثورات قط ضد ابن طولون للتأخر فى أعطياتهم ورواتبهم.

ولا نستبعد أنه كان من ضمن قوام جيش ابن طولون عناصر مرتزقة "غير نظاميين"، إذ أنه حين كلف واليه على ثغور طرسوس أثناء الهدنة التى عقدها مع إمبراطور البيزنطيين "باسل الأول"[٢٨]، أن يستغل الهدنة؛ لتقوية دفاعاته وزيادة أعداد جنوده وتحسين أسلحتهم، والإحسان إلى الذين تضرروا من هذه الهدنة بما يقيهم ويكفيهم[٢٩]، وترميم ما يلزم ترميمه فى الحصون والقلاع والثغور، وإعمار ما خرب منها،

وأمره "انفق على ذلك من مالى الذى فى أيدى وكلائى فى ضياعى بالقرب منك"، ولحرص ابن طولون على رعاية ثغور طرسوس، ألزم أحد رجاله–عامل المطبخ– بألا ينفق من مال الضياع درهما واحدا؛ لأنه يجمعه لإصلاح طرسوس، وغيرها من الثغور فقد أنفق عليها مالم ينفقه أحدا قبله قط، وزاد فى دفاعاتها وأكثر من جندها؛ مما يؤكد بعد نظره كحاكم، فى إصلاح وتنمية المناطق الحدودية الثغرية مع الأعداء(٣٠)؛ مؤكدا أمامهم القوة والهيمنة الاقتصادية على الخريطة المستقبلية لمصر آنذاك.

ويبدو أن تربيته العسكرية منذ صغره أهلته للاستمرار فى الجهاد فى أهم ثغر من ثغور المسلمين مع البيزنطيين؛ فأصبح من أهم المهام المناط به القيام بها؛ مما قوى أمره وأتاح له التفرغ للمشاريع الاقتصادية، ويبدو من العرض السابق أن بيزنطة شعرت بقوة ونفوذ ابن طولون، فطلبت عقد الهدنة معه؛ مما أسهم في تهيئة المناخ للحفاظ على العلاقات التجارية بين الجانبين؛ لأن العلاقات السياسية العدائية لا تمنع من وجود علاقات اقتصادية.

وألزم ابن طولون في سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م كل طوائف الجيش أن يقسموا له يمين الطاعة والولاء، وأن يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه(٣١)؛ مما يؤكد قوة نفوذه، ويبدو أن ذلك التنوع فى قوام الجيش المصرى قد أفاد كثيرا فى تبادل المزايا العسكرية والإدارية؛ وكان له أثر حميد على الجيش الوطنى المصرى(٣٢)، وعمل على ألا يتغلب على الجيش عنصر فيستبد به، ويضمن ولائهم حيث تجمعهم رابطة ولائهم له، فيكونوا جميعا طوع يمينه ورهن إشارته، ووفر لهم سبل الحياه الكريمة؛ لوفرة المال، وكان يؤثرهم على نفسه حيث قال:" هؤلاء الغلمان فهم عدتى وينتسبون إلىَّ انتساب الأبناء إلى الآباء، ....."(٣٣).

ولما كان ابن طولون لا تمتد له يد المعاونة من أحدا من أهله؛ لأن أخاه موسى كان معاديا له، وأبنائه أغلبهم ما زالو صغارا بعد، وكان على علم بما أحدثه الجند الأتراك في الخلافة العباسية، من فتن واضطرابات؛ لذلك جعلهم عنصرا مميزا على غيره من عناصر الجند[٣٤]؛ ليأمن شرهم وغدرهم، وجعل ولاءهم له شخصيا، وكسب رضاهم بطرق مختلفة، مثل إغداق الأموال عليهم، ودفع مستحقاتهم بانتظام، بل وقام بتعيين البعض منهم نوابا له في الكور الرئيسه بالبلاد، ومن هؤلاء "أحمد بن دعيم" حيث ولاه نائبا له في مصر الوسطى، وموسى بن مصلح الذى تم تعيينه مديرا للسجون[٣٥] وعمل على حفظ النظام بين كافة الجنود والقواد، وكان لحزمه؛ الفضل فى حفظ نظام الجيش فى مصر، فى عصر فسدت أكثر أوضاعه، فقد كان حلمه وهدفه الاستقلال بالديار المصرية[٣٦]، وكثيرا ما كان يستعرض الجيش فى مناسبات الحفلات والأعياد، وأيام الجُمَع، فتقف الرعية على جانبى الميدان، معجبين بجلال أجسامهم وحسن ملبسهم وجميل نظامهم، ولا ريب أن هذا كان سببا فى حفظ النظام والاستقرار فى البلاد [٣٧]، ويؤكد زيادة نفوذه وهيبته فى الداخل والخارج.

٤- جهود جيش ابن طولون في تدبير أحوال مصر الداخلية:

لم تخرج مصر كإقليم تابع للخلافة عن دائرة الاضطرابات السائدة فيها؛ فانتهز ابن طولون الظروف السابقة للخلافة العباسية؛ ليصبح صاحب الأمر والنهى فى مصير وادى النيل[٣٨]، فكان لزاما عليه أن يقضى على الفتن والثورات الداخلية، ويؤمن حدود مصر من الخارج؛ ليستطيع التفرغ لتحقيق طموحاته في بناء مصر آنذاك، وعن طريق جيشه تمكن من إخماد فتنة "بغا الصغير"[٣٩]، على الجانب الغربى فى إقليم برقة سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، وثورة ابن الصوفى العلوى[٤٠]، سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م بصعيد مصر، وثورة " أحمد بن عبد الله بن إبراهيم العلوى" فى سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣، فى صعيد مصر؛ فجهز

أحمد بن طولون جيشا ظفر به، وحملوه إليه فقتله[٤١]، وغيرهم ممن شكلوا خطرا وأججوا الفتن فى البلاد.

وكان أحمد بن محمد بن المدبر[٤٢] عاملا للخراج آنذاك، وشقير الخادم عاملا للبريد – من موالى قبيحة والدة المعتز – وهو عينها لنقل الأخبار[٤٣]، ويعتبر ابن المدبر من أصحاب الخبرة فى الشئون المالية؛ لذلك كان تأثيره كبيرا فى مصر ؛ لخبرته الواسعة قبلا على إقليم حمص، وقد أقبل على تقديم الكثير من الأموال والهدايا إلى الحكومة المركزية فى بغداد؛ بغرض الحفاظ على مركزه المالى؛ مما جعله يقوم بفرض ضرائب متعددة أرهقت الرعية سنويا وشهريا؛ لذلك جمع ثروات طائلة خاصة به.

وتوجد إشارات إلى أنه لجأ إلى العديد من الأساليب؛ ليزيد دخل الميزانية؛ فقد زاد طمعه فى أموال الأغنياء، كما أدخل فى مصر بين سنتى ٢٤٧هـ و٢٥٣هـ/٨٦١م و٨٦٧م ضرائب جديدة، واستعمل القسوة فى جبايتها، ففرض ضريبة على الكلأ الذى ترعاه المواشى، وسماها "المراعى" وهو أول من أدخلها فى مصر وجعل لها ديوانا وعاملا جلدا، يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعى إلا من جهته[٤٤]؛ مما يؤكد احتكاره لها، وفرض ضريبة على ما يستخرج من البحر "المصايد" واحتشم من ذكر المصايد لشناعة القول فيها، فأمر أن يكتب فى الديوان خراج "مضارب الوتار ومغارس الشباك"[٤٥]؛ الأمر الذى تسبب فى أعباء ثقيلة على الرعية؛ لذلك قامت الثورات ضده فى مناطق عديدة ولكنها أخمدت، وقال عنه المقريزى:" كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب، فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده[٤٦]، ومثل تلك الأحوال تعوق جهود التنمية التى يبتغيها أحمد بن طولون.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أنه عند قدوم ابن المدبر للقاء ابن طولون، قدم إليه هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار[٤٧]، فرفضها ، وطلب بدلا عنها المائة جند وأصلهم من الغور[٤٨]_حرس ابن المدبر_؛ بغرض نزع قوته، واضطر ابن المدبر للامتثال، وكان لهم خلق حسن، وطول وأجسام وبأس شديد، وعليهم أقبية ومناطق ثقال عراض، وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة، وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه إذا جلس، فإذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة بين الناس[٤٩]؛ وبذلك فقد ابن المدبر الكثير من سلطانه وعظمة مظهره التى كانت لا تتفق مع ما للوالى نفسه أو لنائبه؛ مما زاد من قوة ابن طولون العسكرية.

وكانت هذه الفرقة نواة للجيش الذى عمل ابن طولون على تكوينه، وجعل من هذه المجموعة معملا لتفريخ المقاتلين البواسل من عناصر الجيش المصرى؛ لمواجهة أعدائه في الداخل والخارج؛ فكانوا بداية سلاحه فى الإصلاح والتنمية التى يهدف إليها؛ ونشأته العسكرية أكدت عمق فكره على المدى البعيد، برسم سياسات لتحقيق أهدافه، إذ أظهر للخلافة أنه لم يكن له أطماعا مالية، فطلب ابن المدبر إلى كاتبه أن يحرر رسالة إلى بلاط الخلافة؛ ليلفت نظر أولى الأمر إلى أن مثل ابن طولون لا يجب أن يولى إلا فى حاضرة الخلافة أو ضواحيها ليكون قريب من أعين رجال السلطة؛ لرفضه المتاع والمال مقابل السلطة، فطلب الحرس من الرجال الذين يستطيعون تأييده والدفاع عنه. ومنذ ذلك الحين بدأ النضال بينهما عن طريق عمالهما وجواسيسهما فى سامراء[٥٠].

ولكن على ما يبدو مَثَّلتْ علاقات ابن طولون الطيبة بأقطاب الحكم فى سامراء؛ حصنا له من مثل تلك الدسائس، وقد نجح بالهدايا فى استمالة حسن بن مخلد وزير الخليفة المعتمد، وكاتِب أخيه الموفق، الذى أخبره بما يحاك ضده من دسائس، بل أرسل إليه بالكتاب الذى كان قد أرسله شقير إلى عاصمة الخلافة، وأدرك ابن طولون زوال

سلطان أم المعتز "قبيحة" التى كان شقير مولى لها، فأرسل فى طلبه؛ لمجازاته على أفعاله ضده(٥١).

ولإثبات الولاء العميق للقادة فى بغداد، كان يرسل الرشاوى لمن يشاء من أولى الأمر فى العراق؛ لأنه كان يعلم شغفهم بأموال مصر وثرواتها؛ لذلك أتحفهم بالأموال والهدايا الثمينة فى قصر الخلافة، وذلك عن طريق تاجر مقرب إليه مقيم فى مصر، وله وكلاء فى أسواق بغداد وغيرها، اسمه معمر بن محمد الجوهرى من أصدقائه المقربين، وصاحب نشاط تجارى واسع، فكانت هذه الأمور تتم عن طريقه(٥٢).

كما حملت هذه الدسائس السابقة الذكر، الخليفة المهتدى على معاداة بايكباك التركى، الذى تزوج والدة ابن طولون – وقد أُقْطِعَ بايكباك مصر سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، فأمر بقتله، وأقطعت مصر من بعده لرئيس جديد من رؤساء الجند الترك وهو يارجوخ " والد زوجة ابن طولون"، ولم يكتف بتثبيت صهره فى النيابة عنه فى مصر، بل منحه سلطانا كاملا على البلاد، وكتب إليه:" تسلم من نفسك لنفسك"؛ مما يؤكد أن ابن طولون أصبح المتصرف الفعلى فى شئون مصر، وكتب إلى إسحاق بن دينار وهو يتقلد الإسكندرية أن يسلمها إليه؛ لأن يارجوخ من القواد الترك الحريصين على البقاء فى العاصمة؛ ليراقبوا تطور الأوضاع، ويأمنوا دسائس الخصوم؛ لذلك أرسل ابن طولون نائبا عنه في مصر، وعندما وصل إليها بدأ يفكر في حلم الاستقلال بها؛ نظرا لسوء الأحوال وضعف الخلافة، والفوضى التى كان يثيرها الأتراك؛ فعظمت بذلك منزلته(٥٣).

كذلك اعترف أحمد بن عيسى الصعيدى والى برقة بسلطانه؛ لأنها كانت تتبع مصر(٥٤)، وظهرت براعة ابن طولون الإدارية حينما أبقى ابن إسحاق نائبا له على الإسكندرية؛ لتدبير شئونها؛ لما لمس فيه من التدبير الإدارى السليم لشئونها، ولمس ذات

الأمر مع والى برقة؛ فضلا عن ولائهم له فازدادت الثقة بهم، ولم يبق له إلا التخلص من ابن المدبر[٥٥].

وأعيد ابن المدبر بعد خلعه للخراج فى مصر تحت إشراف ابن طولون، وكان قد قام بحبسه وأخذ أمواله، ثم صالحه على ستمائة ألف دينار[٥٦]، وحين تيقن من حزم ابن طولون وإصراره على تحقيق طموحه، مضحياً فى سبيل ذلك الهدايا والمال للخلافة والوزير الحسن بن مخلد وصهره يارجوخ؛ فآثر ابن المدبر السلامة معه، وكاتب أخاه إبراهيم ابن المدبر فى نقله بعيدا عن ابن طولون، فتم تقليده فلسطين والأردن ودمشق؛ فاستعمل ابن المدبر التلطف والحيلة معه، فى سبيل الخلاص منه والخروج عنه؛ فوهب له ضياعا واسعة وكبيرة كان يملكها بمصر، وعقد زواجا سياسيا معه بزواج "أبى الجيش" ابن طولون من ابنته، وخرج معه ابن طولون مشيعا له[٥٧]، يتبين من ذلك أن ابن طولون أدار الأزمة بحكمة وتصدى للمخاطر التى واجهته بمساندة جيشه.

ونتيجة لنجاح إصلاحاته الكثيرة وسياساته الرشيدة؛ اختفت ثورات القبط التى انتشرت فى العصرين الأموى والعباسى؛ بل واتخذت هذه الغالبية من اللغة العربية لغة للحديث والعلم، وبدأت الأقلية المسيحية تنسى لغتها الأصلية بالتدريج وتتعلم اللغة العربية[٥٨]، واستخدم ذوى الخبرات الفنية والصناعية منهم فى أعمال البناء[٥٩]، والتخطيط والصناعات، وكان يحسن معاملة الأثرياء من اليهود؛ مما جعلهم يشعرون بهدوء وطمأنينة لم يتمتعوا به منذ زمن طويل، وكتب لابن المدبر بالتخفيف في جمع الضرائب، وطلب منه أيضا إعفاء الرهبان، وقد بلغ ابن طولون أن أحد قواده قام بأخذ خمسمائة دينار من أحد الرهبان، فأمره أحمد بردها إليه[٦٠]، وكانت طوائف المجتمع المصرى مسلمين ونصارى ويهود تتشارك الأعياد والمناسبات[٦١].

٥- دعم الجيش المصرى للخلافة العباسية فى بلاد الشام:

عندما ثار ابن الشيخ الشيبانى والى فلسطين والأردن، وشق عصا الطاعة على الخليفة المهتدى، أوكل الخليفة لابن طولون أمر هذا الثائر، فوافق على طلب الخليفة؛ لأنه يعلم أن بلاد الشام عمق استراتيجى لحماية حدود مصر من الظهير الشرقى، والوصول للجهاد ضد البيزنطيين فى الحدود الشامية البيزنطية، فطلب إذن الخليفة بشراء عدد كبير من العبيد الترك والسودان والحبش وسكان جزائر البحر المتوسط؛ ليزيد تدعيم قوات جيشه؛ ليمكنه من إخضاع ابن الشيخ، فكتب الخليفة لابن المدبر أن يطلق لابن طولون ما يريد من المال، ثم عدل عن هذا التكليف، وعهد بذلك إلى "أماجور" بدلا منه، ويبدو أن ذلك كان من المؤامرات ضد ابن طولون؛ لإبعاده عن الهيمنة والسيطرة على بلاد الشام، وضرب مخططه نحو تكوين الوحدة الشاه – مصرية، ومن اللافت للنظر "رد فعل الإدارة المصرية"، حيث استفاد ابن طولون من ذلك كله، إذ عاد بجيشه سالما كاملا، وبه أقام سلطانه وسلطان ابنه خمارويه من بعده[62].

واستمرت الدسائس والمؤامرات ضد ابن طولون لإبعاده عن مصر؛ فأرسل الخليفة المعتمد له أن يترك على مصر نائبا له ويسافر إلى سامراء؛ ليتولى منصبا فيها، لكن عيونه التى فى سامراء أحاطوه علما بالخطر الذى يتربص به؛ فتنبه ابن طولون للحيلة المدبرة ضده، وأسرع بإرسال "الواسطى" كاتبه وموضع ثقته بالهدايا والأموال، لأولياء الأمر فى بلاط الخليفة وبطانته، لا سيما الوزير حسن بن مخلد، وقد أتى ذلك نفعه[63]؛ مما يؤكد جهود ابن طولون المبذولة من أجل الحفاظ على طموحاته فى تأمين مصر واستقلالها.

ويئس ابن المدبر من محاربة ومخاصمة ابن طولون، وكانت المودة بينهما ظاهرية ومؤقتة، وخلف ابن المدبر على خراج مصر عامل أرسله الخليفة المعتمد أسمه "أبو أيوب" أحمد بن محمد، وظل ابن طولون يتحين الفرصة بعد أن احتل الشام لعزل ابن المدبر(64)، وأرسل الخليفة المعتمد رسله حين احتاج خراج مصر لنفسه من ابن طولون مباشرة، دون عامل الخراج أبو أيوب، وكتم خبره عن الموفق والأتراك، فأجابه ابن طولون أنه لا يستطيع أن يسلم الخراج لرسل الخليفة بدون علم أولياء الأمر فى حكومة العراق، إلا إذا كانت بيده مقاليد الأمور المالية فى مصر، فأجابه الخليفة المعتمد إلى طلبه، وأرسل إليه تقليده بتولى الخراج فى مصر بالإضافة إلى الثغور الشامية أيضا(65)، فأكدت تلك التجربة سيطرة ابن طولون الفعلية؛ فأصبحت له اليد الطولى فيما يخص رسم السياسات فى مصر والشام؛ فأبقى ابن طولون أبى أيوب أحمد بن محمد فى إدارة الخراج، ولكن تحت إشرافه، وعين له كاتبا اسمه عبد الله بن دشومة، وأضاف لهما تابعا من جهته من رجال جيشه؛ ليكون عينا له عليهما لإصلاح الأمور المالية الفاسدة التى كانت منتشرة منذ أيام ابن المدبر(66).

٦- أثر الهيمنة العسكرية المصرية على بلاد الشام فى العلاقات بين ابن طولون والموفق:

وترتب على ما سبق من صلاحيات تمكن منها ابن طولون، جعلته يواجه العديد من الصعوبات الخطرة من جانب الموفق أنْ أرسل نحرير الخادم إلى ابن طولون للمطالبة بالأموال والمنسوجات والعبيد والخيل من الجزية المعتادة كل عام(67)، وأرسل الخليفة المعتمد فى الوقت نفسه رسالة سرية إلى ابن طولون يحذره فيها من "نحرير" رسول الموفق، ويخبره أنه جاسوس الموفق، مكلف بتدبير الدسائس ضد ابن طولون والوقيعة بيته وبين قادة الجند فى مصر، وكان غرض الموفق من التآمر عليه؛ وقف الإصلاحات

التى يقوم بها؛ والتى جعلته يلوح فى أفق السياسة الدولية، فتنبه ابن طولون للأمر[68]، وعمل على ألا يمكن نحرير من الاتصال بأحد أثناء إقامته فى مصر، واستولى على كل الرسائل التى كان يحملها من قبل الموفق إلى أعيان مصر وكبار رجالها وقادتها، وكتب إلى الموفق بالاستجابة لطلبه، وأرسل مع نحرير مليون ومائتى ألف دينار؛ فضلا عن الخيل والأقمشة، وأشهد على ذلك، وأوصل نحرير بما يحمله معه إلى حدود الشام، وبعد عودته قام بفحص الرسائل التى صادرها من نحرير، وأوقع بأصحابها لعلاقتهم بالموفق ضده[69].

وتسبب ذلك فى غضب الموفق، وكتب إلى ابن طولون كتاب شديد اللهجة يعنفه فيه ويلومه على قلة المال والمعاملة التى عامل بها رسوله نحرير، وأصر على عزله، وتصدى موسى بن بغا لذلك؛ نظرا لشدة إلحاح الموفق فى ذلك[70]، فأرسل ابن طولون ردا على كتاب إلى الموفق بأشد العبارات واللهجة، لم يعتاد مثلها من الولاة تجاه أصحاب النفوذ فى البلاط العباسى، بل أنه هدد الموفق بنقل الخلافة إلى مصر[71] فزاد غضب الموفق، واتسع نطاق الخلاف والنزاع بينهما، وهو فى حقيقة الأمر نزاع بين السلطة المركزية، وبين السلطة الإقليمية التى تريد التحرر والاستقلال من هذه السيطرة وتؤكد وجودها الفعلى[72].

وأصبح ابن طولون بلا منافس؛ بسبب جاهزية قوته العسكرية فى المقام الأول، مع ميزانية مالية ضخمة؛ فمكنه ذلك منع الحكومة المركزية أن تملى إرادتها عليه[73]، كما استطاع ابن طولون الاستيلاء على بلاد الشام؛ وبسط نفوذه وسلطانه عليها؛ لوقوعها ومصر على طريق التجارة العالمى، وهو أول من جُمِعَ له مصر والشام من الولاة[74]، وأصبحت مصر ذات سيادة دولية مستقلة، ولأول مرة منذ عهود بعيدة حكمت مصر بلاد الشام[75].

ومن هنا استطاع أن يتفرغ للقضاء على ثورة ابنه العباس ضده سنة ٣٦٨هـ/٨٨٢م، ويبدو أنها كانت من الدسائس التى وُجَهَّت لتعطيل استمراره فى الجهاد فى بلاد الشام والثغور الشامية البيزنطية، فلولاها لاستمر فى مواجهة البيزنطيين وتقوية جبهة مصر فى بلاد الشام، ومع كل هذه التحديات التى واجهته تفرغ لمشاريعه، فبدأ بإضافة اسمه إلى اسم الخليفة على السكة، بل أنه عمل على نقل الخليفة المعتمد إلى مصر؛ ليتخلص من الموفق منافسه الحقيقى، وكاد أن يحدث ما أراده ابن طولون، لكن الموفق علم بذلك؛ فأرسل فى إعادة المعتمد الذى كان على حدود العراق خارجا إلى مصر، وأعاده إلى سامراء شبه سجين سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م، وحجر عليه(76)، ويبدو أن محاولة ابن طولون هذه لنقل المعتمد إلى مصر، ليس إخلاصا للخليفة، على الرغم من تقديره له؛ إلا أنه يعد عملا بفكر السياسة الناعمة؛ بل كان هدفه الانتصار على الموفق والحد من نفوذه؛ ليتفرغ لطموحاته الإصلاحية فى مصر.

كما بدأ الموفق يميل للتفاهم وإقرار السلام بينهما؛ لشعوره بقوة ابن طولون العسكرية؛ ولصلاحياته فى حكمه لمصر والشام، بناء على عقد رسمى مبرم من الخلافة سابقا؛ فأرسل إليه معاتبا على المبادرة بخلعه وإسقاط اسمه، ويعتذر لابن طولون على ما كان من لعنه على المنابر فى بغداد، وجنح ابن طولون أيضا للسلم وقبل اعتذار الموفق(٧٧).

٧- خطوات الاصلاح والتنمية:

وواصل ابن طولون سعيه للإصلاح، فعمل على إقرار الأمن والنظام العام، فأمسك بزمام الإدارة فى البلاد بنفسه باللين مع الشده، فعمل على تقسيم السلطة فى البلاد، فالبريد له عامل والخراج له عامل ووكيل للوالى، وكل ذلك بفضل رجال جيشه

فى الداخل والخارج، ومعاونيه الإداريين، استطاع أن يطلع على كل ما يدور فى مصر، وقام بإلغاء المكوس والضرائب المتعسفة والتى تسببت فى إهمال المرافق العامة، لا سيما أنها جعلت المصريين يتركوا أراضيهم، ويقوموا بالعديد من الثورات؛ بسبب زيادة الأعباء المالية، بيد أن هذه الإصلاحات كانت من أهم ركائز الاستقلال الاقتصادى ؛ فضلا عن ضبطه الخراج، وإلغاء الجبايات الظالمة القديمة التى كان قد فرضها ابن المدبر سابقا، فألغى ضريبة المراعى، وضريبة المصايد وضريبة الأخشاب، وضريبة المرافق والمعاون(٧٨)، وأباح للناس استخدام النطرون(٧٩) كيفما يشاؤون، فارتفع الخراج فى عهده(٨٠).

ورغم ذلك كشفت المصادر التاريخية أن ابن طولون، كان يتصدق فى كل يوم بمائة دينار، وينفق فى مطبخه فى كل يوم ألف دينار، وقد جعل مطابخ لحاشيته وكذلك للفقراء، فى كل يوم يذبح فيها البقر والغنم(٨١)، ويبعث بالصدقات إلى بلاد الشام والعراق والحرمين، وحساب ذلك ألفى ألف دينار ومائتى ألف دينار. وقال له وكيله فى الصدقات: ربما امتدت إلىَّ الكف المطوقة والمعصم فيه السوار والكم الناعم "كناية عن الغنى والترف"، أفأمنع هذه الوظيفة؟ فقال له:" ويحك! هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، احذر أن ترد يدا امتدت إليك، وكان الغرض من ذلك ضمان تأييد الرعية له؛ لتهيئة المناخ العام لتوفير الموارد لإنجاز مشروعاته. وقد سانده فى تلك النفقات والأعمال التنموية والصدقات وغيرها؛ بما عثر عليه من كنوز قديمة؛ فضلا عن الخراج الذى زاد فى عهده(٨٢).

نتيجة لذلك كان ابن طولون رجل دولة من الطراز الأول، وصاحب فكر مستنير؛ فعنى بشئون دولته؛ وما يتصل بها من نواحى الحياة، ولم تشغله طموحاته وزيادة رقعة دولته، عن جوانب الإصلاح والعناية بما يحقق الحياة الكريمة لرعيته؛ فشملت إصلاحاته

شئون الدولة المختلفة؛ وخاض معارك التنمية الاقتصادية الشاملة فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة؛ ليتسنى لمصر الاستقلال سياسيا واقتصاديا، وانعكس أثر ذلك على الرعية، بتوفير مجالات العمل للصناع والعمال، معتمدا على الخراج باعتباره المورد الرئيس الدائم لميزانية الدولة، لتقدم مصر للعالم الإسلامى نموذج تنموى بقيادة حاكم مصر، ولكى يحمى هذه المشروعات التنموية، كان لزاما عليه إنشاء قوة عسكرية تحميها، وكل قوة عسكرية يلزمها ظهير مدنى يدعمها ممثلا فى تلك المشروعات، ومنها:-

أ- الزراعة:

كانت مصر ثلاثة أقسام: مصر السفلى -الوجه البحرى-، ومصر العليا - الصعيد- ومصر الوسطى -الصعيد الأوسط-، وكل قسم ينقسم إلى أقسام صغيرة تسمى الكور، وكل كورة تنقسم إلى قرى عديدة، ويتولى حكم كل كورة حاكم يسمى بصاحب الكورة، وكانت له إمامة الصلاة فى مسجد الكورة، وكان هؤلاء الحكام مسئولين أمام الأمير مباشرة، وكل قرية عليها رئيسا يسمى موازيت، - العمدة حاليا-(٨٣).

كما اتجه ابن طولون بإصلاحاته إلى مضاعفة عوامل الإنتاج كلها، بنشر الأمن والطمأنينة فى كافة أنحاء البلاد، مستعينا فى ذلك بجيشه، وقام بالإشراف بنفسه على ذلك، وأمر بإصلاح مقياس النيل فى الجزيرة، وقدر له ألف دينار(٨٤)، وقام بتحسين الترع والقنوات وتسهيل الرى وكان بمصر من الدواوين ديوان "الأكرية"، وكانت مهمته الإشراف على الترع والجسور والقنوات وشئون الرى(٨٥)، وترشيد استخدام المياه فى الرى(٨٦)؛ للحصول على ضرائب وفيرة، كما اهتم بحماية الفلاح من ظلم الجباه(٨٧)، وجشع العمال وطمعهم، وكان سر نجاحه في حكم مصر هو عنايته بتحسين حال الفلاح؛ لأنه رأى أنه أساس نمو الحياة الاقتصادية، وبعد عزله ابن المدبر جعل ديوان الخراج خاضعا له

وتحت عينه وإشرافه، وأمد الفلاح بما يلزمه من خدمات، وكانت الدولة تتقاضى أثمان هذه الخدمات بعد نهاية المحصول، كما أمد الفلاح بالآلات الزراعية، ودواب لحرث الأراضى وريها؛ لكثرة الدواب والمراعى الخصبة، فمدينة الأشمونيين اشتهرت بتربية الخيل والبغال والدواب، واشتهرت منطقة الواحات بتربية الأغنام والإبل والأبقار حتى قيل "أن بقر مصر ليس فى الدنيا أعظم منها"[٨٨]، ولم يعتمد على الفلاح وحده فى سبيل زيادة الإنتاج الزراعى، بل وكان الجند ممن يشتغلون بالزراعة في غير أوقات الحرب[٨٩]، ونتيجة للعناية بالفلاح والأرض وبالهيئة الإدارية ذات الصلة، عمد إلى الاستيلاء على الأملاك والضياع التى تركها أصحابها، وتولى زراعتها بنفسه، واستغلال الأملاك التى كانت لصاحب إقطاع مصر، ويرسل لملاكها الأصليين نصيبا من خراجها، وعهد بها – ديوان الأملاك والضياع– إلى سليمان ابن ثابت[٩٠].

وفرض رقابة صارمة على موظفى الدواوين، ووضع حدا لنهبهم وسلبهم، وكان حظره الارتفاق – الإتاوة– على العمال من الخطوات الناجحة التى اتخذها؛ لضبط أحوال البلاد، وكف أيدى العابثين عن التلاعب بها[٩١]؛ ونتيجة لذلك شهدت مصر نهضة زراعية كبرى، واستغلال مساحات شاسعة فى الزراعة آنذاك؛ فزاد الانتاج زيادة كبيرة مقارنة بالفترات السابقة، وامتلأت الخزائن بالقمح وانخفض سعره[٩٢]، حيث كان القمح يشترى عشرة أرادب بدينار، وهكذا رخصت جميع البضائع والسلع[٩٣]، "وكان يحصد من فدان القمح من أردبين إلى عشرين أردب؛ لحرارة هواء مصر وكدورة – تعكير– ماء النيل "المحمل بالطمى" وبذلك توفرت البيئة الجغرافية المناسبة لهذه الزيادة والوفرة من محصول القمح[٩٤]، فى الوقت الذى غلب الغلاء المفرط بالحجاز والعراق سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، حتى بلغ الكر من الحنطة ببغداد مائة وخمسين دينارا[٩٥]، وحدث أبو الحسن بن المدبر "لو عمرت مصر كلها لوفت بأعمال الدنيا، وقال:" إن أرض مصر مساحتها للزراعة

ثمانية وعشرون ألف ألف فدان، وإنما المعمر منها ألف ألف فدان، وقال أنه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب ولم أبت قط ليلة حتى أنهيه ولا بقيته، وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقى على شئ من العمل فاستتمه إذا أصبحت"[٩٦]؛ مما يؤكد ثراء مصر، ووفرة المياه بها، وصلاحية أرضها للزراعة، تبع ذلك الاهتمام بالصناعات.

ب- الصناعة:

اشتهرت مصر بالعديد من الصناعات التى دعمت اقتصادها، وعمل ابن طولون على الاستفادة منها، وخاصة صناعة النسيج، فكانت مصانع النسيج منها ما يتبع السلطة الحاكمة، حيث تقوم بإنتاج المنسوجات الخاصة بالخليفة والأمراء وكبار رجال الدولة، ومنها مصانع نسيج أهلية " قطاع خاص" تتولى توفير احتياجات الأهالى والتجار من المنسوجات المختلفة، ولم تسمح الدولة للمصانع الأهلية أو النساجين بحريتهم فى بيع منتجاتهم؛ إلا بعد ختمها بخاتم الدولة، ويتم بيعها عن طريق سماسرة تابعين للدولة، كما يتم تدوين ما يباع من المنسوجات فى سجلات خاصة[٩٧]، وكان لابن طولون ثلاثة مصانع أحدها بالقرب من السوق والآخر فى زيادة الجامع[٩٨]، لحاجة رجاله وحاشيته فى قصره من الملابس والفرش والستائر والأقمشة الثمينة؛ فضلا عن تصنيع كسوة الكعبة المشرفة التى ترسل سنويا[٩٩]، وكان ذلك من نتائج النهضة الزراعية ووفرة الإنتاج وجودته؛ أن شهدت الدولة نهضة صناعية كذلك، وعلى رأسها صناعة النسيج وروافدها[١٠٠].

ونتيجة ازدهار هذه الصناعة، ذيع صيت بعض المدن لشهرتها فيها، مثل دمياط التى أنتجت ثياب البز، وبلغ ثمن الثوب المذهب ألف دينار تقريبا، ومائتى دينار إن لك يكن مذهب، وتصدر منسوجاتها إلى العراق وغيرها، ومدينة تنيس التى وصفها المقدسى بقوله: "أنها بغداد الصغرى ومتجر الشرق والغرب"؛ لكثرة المراكب التى تأتيها؛ لتتزود

بإنتاجها من المنسوجات[١٠١]، ومدينة الفيوم اشتهرت بصناعة الستور والاستبرقات والستائر والخيام، وبها دور طرز تعمل لحساب الحكام وعلية القوم، ومدينة شطا بين تنيس ودمياط، ومدينة القيس، ومدينة طحا، وأخميم والأشمونيين وأسيوط، وكان يعمل بهذه الصناعة نحو عشرة آلاف رجل، وأتاحت العلاقات السلمية بين بلاد الشام ومصر، نقل الخبرات بين الجانبين، فلا نستبعد وجود شوام ساعدوا فى تلك النهضة الصناعية، وانتشروا فى كافة أنحاء مصر فى مصانع النسيج؛ لذلك عدت هذه الصناعة مصدرا مهما لزيادة موارد الدولة؛ لإرسالها ضمن الجزية والهدايا الرسمية لعاصمة الخلافة[١٠٢].

وازدهرت صناعة الخزف فى مصر، وخاصة الخزف ذو البريق المعدنى – الذى أدخله ابن طولون مصر نقلا عن سامراء، كما ازدهرت صناعة **الخشب** والحفر عليه، إذ توفرت الأخشاب الجيدة كالأرز والصنوبر والأبنوس والساج، وغيرها من أنواع الخشب المتين، أو من البلاد المجاورة أو صعيد مصر، فكان للخشب أسواقا رائجة فى مدينة الفسطاط[١٠٣]، كما اشتهرت صناعة الزجاج، ويصفها المقدسى بقوله:" أنه أرق من زجاج الشام وأصفى منه"، إلى جانب صناعة الفخار والخيش والأحذية وغيرها من الصناعات الخفيفة والثقيلة[١٠٤]، وتوفرت معاصر استخراج الزيت من السمسم وبعض الحبوب والبقول، ومعاصر القصب؛ لاستخراج السكر، وصناعة زيت المصابيح من بذور البنجر واللفت[١٠٥]؛ وأضحت مصر محتكرة لصناعة الورق من البردى الذى كان ينمو فيها بكثرة، وخاصة فى مستنقعات الدلتا والفيوم، ووادى النطرون حيث يوجد النطرون، وتتوافر أيضا نباتات الحلفا التى تستخدم في صناعة الحصر والحبال[١٠٦]، وكل الصناعات السابقة أشرف عليها أحمد بن طولون وقواده.

صناعة الأسلحة والسفن:

كما نالت الصناعات الثقيلة جل اهتمام ابن طولون، إذ اهتم بصناعة الأسلحة والسفن، وخصص مصانع لإعداد الأسلحة التى يحتاجها الجيش، وعنى بالأسطول عنايته بالجيش، والأسطول يطلق على جميع السفن التى تملكها الدولة لغرض الحرب أو التجارة(١٠٧)، وكان ولاة مصر يرسلون بعض العمال والصناع والملاحين المصريين للعمل فى أسطول المغرب أو أسطول المشرق، والمساهمة فى المشروعات البحرية العسكرية والاقتصادية العامة للدولة الإسلامية، وكان الولاة يتفقون مقدما على أجورهم (١٠٨)، مما يؤكد خبرات المصريين المتوارثة منذ فترات بعيدة فى هذا المجال.

واتضحت الحاجة الماسة للأسطول بعد توسع ابن طولون فى الشام؛ إذ اضطر لحماية شواطئه ومواجهة الهجوم البيزنطى؛ وكانت ضياع القادة العسكريين تقوم بمصروفات صيانة الثغور والأسطول(١٠٩)، والمحافظة على طرق الاتصال البحرى بين سواحل مصر والشام(١١٠)، ومن المعروف أن مصر كانت مركزا لصناعة السفن منذ الفتح العربى؛ فاكتسب الملاحين والعمال المصريين خبرة فى هذا المجال؛ وكان لهم الفضل فى بناء السفن وتشييد دور الصناعات فى مصر وإفريقية والشام، وضُمَّ كل ذى صنعة بمبلغ صناعته، كذلك اهتم بإنشاء السفن الحربية، وقام بتوسيع دار الصناعة وتحسينها، وجعل لها أحواضا حول جزيرة الروضة، كانت تعرف باسم "صناعة السفن"، وفيها يتم تصنيع العديد من أنواع من السفن(١١١).

وقد أورد البلوى قائمة بأسماء هذه المراكب، وذكر ابن إياس أن ابن طولون خلف بعد وفاته من المراكب الحربية حوالى ألف مركب(١١٢)، وكانت السفن المعدة للحرب يتم تزويدها بمعدات القتال(١١٣)، وأصبحت السواحل مزدحمة بالقلاع والأبراج "السفن" وكانت

أشبه بسور يمتد بحذاء الساحل، وحظيت الاسكندرية ورشيد والبرلس وتنيس ودمياط وعكا وصور وصيدا وطرابلس والرقة وجبيل وأنطاكية بقلاع ومحارس(١١٤).

ومن اللافت للنظر حرص ابن طولون على جودة صناعة السفن، حيث أوكل لأبى كامل شجاع بن أسلم إدارة دار الصناعة، وقال له:" كل ما تعمل لى من العدة "أسلحة الجيش" يكتفى فيه بالقليل مع تقدم هيبتى فى صدور الناس، إلا المراكب؛ فإن البحر لا يهابنى ولا يخافنى وليس يعمل فى البحر إلا الوثاقة، والجودة فى الصنعة، وتقديم الإحسان، فقدم الحزم فى الاحتياط، والاستزادة فى الإنفاق على المراكب لتسلم بعون الله عز وجل"(١١٥)، فى الحرب مع الأعداء، وفى السلم للتجارة ونقل الحجاج؛ مما يؤكد اختياره صفوة العناصر المتمرسة فى ركوب البحر وصناعة السفن.

وعن أهم دور صناعة السفن فى مصر كانت الإسكندرية، إذ ذاعت شهرتها بموانيها الشرقية والغربية وكونها من المراكز الرئيسة للتجارة البحرية "العالمية"؛ فأنشئ بها دار كبرى لصناعة السفن سواء التجارية أو الحربية؛ لأن ميناء الإسكندرية كان يتحكم فى التجارة العالمية آنذاك وتحديد أسعارها شرقا وغربا؛ فزاد اهتمامه بها؛ لحاجته لمضاعفة عدد السفن؛ ولرغبته فى زيادة وتقوية أسطوله؛ ليحمى بها سواحل بلاده، ويحافظ على طرق الاتصال البحرى بين مصر والشام، ودعم التجارة النهرية التى تصل إلى الإسكندرية، خصوصا بعدما قام بإعادة حفر خليج الإسكندرية(١١٦)، وكان الجيش المصرى؛ سببا فى كون مصر تحتل هذا المركز الاقتصادى الاستراتيجى بين دول العالم؛ بسبب إنشاء مشاريع صناعة السفن التجارية والحربية.

ولا تقل دمياط أهمية عن الاسكندرية وقد ارتبطت بالتجارة الداخلية من خلال النيل(١١٧)، والتجارة الخارجية مع البلاد المطلة على البحر المتوسط، وبخاصة بثغور

الشام[١١٨]، ومنها ميناء عكا الذى بناه ابن طولون لزيادة تحصينها، وقام بإحاطتها بسور منيع بناه فى البحر، وأحاط ذلك كله بسلسلة من الأسوار، حماية للمياه الإقليمية؛ لمنع سفن الأعداء من اجتيازها[١١٩]، وقام "جد المقدسى أبو بكر المقدسى" ببناء سورها فى الماء بعد أن استدعاه ابن طولون، فقال له هذا أمر هين علىَّ، وطريقة بناء السور فى البحر، أن يحضر فلق الجميز الغليظة، فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البرى، وربطها ببعضها وجعل لها بابا من الغرب، ثم بنى عليها بالحجارة، وجعل كلما بنى خمسة طوابق من ربطها بأعمدة غلاظ؛ ليشتد البناء، وفلق الجميز كلما ثقل عليها البناء نزلت فى الماء حتى استقرت على قاع البحر، تركها حولا كاملا، ثم عاود البناء من حيث انتهى بناء مترابطا، ثم جعل على باب الحصن قنطرة بالمراكب فى كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة عليها، وكان العدو قبل ذلك يغير على المراكب فما لها من حماية[١٢٠].

أما عن مدينتى صيدا وصور فقد اشتهرتا بشهرة بحرية عالمية، كما اشتهر ملاحوها بمهارة عالية فى قيادة السفن وفنون القتال[١٢١]، وقام ابن طولون بحمايتهما بحكم تبعيتهما لدمشق، ووجد بصور دار لصناعة السفن[١٢٢] وتأتى طرسوس ايضا كقاعدة بحرية فى الشام، وبعد دخول ابن طولون سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م، عمل على تزويدها ببعض وحدات الأسطول الطولونى، وجعلها قاعدة حربية منيعة بإمكانياتها العسكرية، واكتسبت أهمية أكثر فى الصراع بين الطولونيين والبيزنطيين؛ لوقوعها بالقرب من شواطئ أسيا الصغرى[١٢٣]، كما شرع قبيل وفاته ٢٧٠هـ/٨٨٣م، فى بناء حصن يافا، وكلف بنائه مائتى ألف دينار[١٢٤]، وقام بإمداد هذه الثغور وغيرها بكل ما تحتاجه من عتاد ومؤن[١٢٥].

وتعددت أنواع السفن التى استخدمها ابن طولون، ومنها: الصنادل – العشاريات – العلابيات – الحمائم، ومن أسلحة المقاتلين فيها: السيوف والرماح والفؤوس، والقوس والنشاب، التوابيت، المنجنيق والعرادة، النفط البحرى(١٢٦).

كما ازدهرت صناعات المعادن من الذهب والفضة والنحاس؛ لوفرتها بصعيد مصر فى أسوان وقفط ووادى العلاقى يقصدها التجار ؛ لاستخراج الذهب وجمعه وتشكيله، ويقوم بالحفر من أجل الحصول عليها، عبيدا من السودان؛ لخبرتهم فى استخراجها(١٢٧).

وعلى ما يبدو أنه كان يولى قواد جيشه بعناصره المختلفة مهام إدارية متنوعة والإشراف على المشاريع الصناعية السابقة ، كذلك الأمر لزعماء الغلمان والحجاب ورجال البلاد(١٢٨)؛ مما زاد فى ارتفاع شأنهم فى الدولة، وكانوا يمنحون الأعطيات والمرتبات، والأراضى؛ وذلك ليبعدهم عن ظلم الناس، آمنين على أحوالهم؛ وهناك من تولى الخراج أو الكتابة أو الديوان ويتوارثونها كما الماذرائيين(١٢٩)، وبنو مهاجر(١٣٠)، والأمثلة من ذلك كثيرة، مثل فائق مولى ابن طولون، والقاضى محمد بن عبده بن حرب، وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية(١٣١).

وبذلك تنوعت المشاريع فى مختلف أنحاء مصر؛ لربط جنوبها بشمالها وغربها بشرقها، فكانت خطوط دفاعية تكفل التأمين للبلاد، ونستطيع أن نؤكد أن هذه الصناعات، انعكست بالإيجاب على كل من عمل بها من شرائح الرعية، ويرجع الفضل فى ذلك كله إلى الجيش المصرى بالدرجة الأولى وقائده الأعلى؛ الذى وفر الأمن والاستقرار فى البلاد؛ مما هيأ المناخ العام للتنمية فى كافة المجالات، تبع كل ذلك ازدهارا تجاريا.

ج- التجارة:

ساهم فى رواج التجارة وازدهارها بدرجة كبيرة الموقع المتميز لمصر، حيث توسطت طرق التجارة العالمية آنذاك؛ فعدت مخزنا للبضائع، وتميز طريق البحر الأحمر بأنه أهم الطرق التجارية بين الشرق والغرب، فكانت السفن ترسو فى الموانئ المصرية الواقعة غربى البحر الأحمر، ومنها تسير القوافل إلى النيل عن طريق الصحراء الشرقية، ثم تتخذ طريق النيل إلى الإسكندرية، ومنها تتصل التجارة الشرقية بأسواق الغرب عن طريق حوض البحر المتوسط(١٣٢).

كما ارتبطت طرق التجارة الداخلية من خلال النيل وكان التجار يحصلون على ما يحتاجون من بضائع، حيث يتم نقل المحاصيل عبر النيل، من جنوب مصر إلى دمياط والإسكندرية على البحر المتوسط، وقد أشار المقدسى إلى كثرة المراكب الراسية والسائرة فى النيل(١٣٣)، وكان على النيل مقاييس للماء، وقد أمر ابن طولون بإصلاحها(١٣٤).

وقد اهتم بالسيطرة على الطرق التجارية؛ ليضمن سلامة استقلاله السياسى والاقتصادى؛ فمثلت مصر الطريق الرئيس لمرور التجارة، وقد بين ابن خرداذبة فى حديثه عن اليهود الراذانية أهمية طريق القلزم "السويس"، وطريق الفرما "شرق بورسعيد"، كانا من أهم حلقات الاتصال التجارى بين الشرق والغرب(١٣٥).

ومما أضافه ابن طولون فى نظم حكمه لمصر، نقاط خفارة على الحدود تسمى "البذرقة"(١٣٦)،وتمثل إدارة لجوازات السفر أو سجلات للمغادرين والداخلين أرض مصر بالصادر والوارد، وكانت إحدى هذه الإدارات تقع فى العريش على الحدود بين مصر والشام(١٣٧)، ويبدو أن نقاط الخفارة هذه كان يقوم بإدارتها قواد وأفراد من الجيش المصرى،

من ذوى الامتيازات الخاصة؛ ليكونوا عونا لتأمين الداخل والخارج للحدود والأراضي المصرية – سلاح حرس الحدود حاليا.

كما كان لاهتمام ابن طولون بالتجارة عبر البحر الأحمر؛ أن قام بإصلاح موانيه وتسهيل الوصول إليها والخروج منها، وتوسيع ترسانة الجزيرة، وأعد أسطولا ضخما لخدمتها، وحماية سفن التجار من أخطار التجرم فى البحر(١٣٨)، وعمل على استعادة الثقة بالاقتصاد المصرى، وانصرف إلى إنفاق الأموال التى كانت ترسل إلى العراق، على الجند والغلمان والموظفين؛ مما جعل لمصر ثقلاً سياسيا صاحبه نشاطا اقتصاديا واسعا، وفرض رقابة صارمة على حدودها؛ فلا تتسرب الكتب ولا نفيس الأمتعة إلا بإذنه(١٣٩).

واستفاد ابن طولون من عائد التجارة، إذ فرض ضرائب على التجارة الداخلية والخارجية التى تمر بالموانئ والبلاد الواقعة على الحدود المصرية(١٤٠)، كانت هذه الضرائب مؤشرا لازدهار الأحوال الاقتصادية؛ حيث درت التجارة فى مصر أرباحا وفيرة للدولة، بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل، وكان بساحل تنيس ضرائبيا يجبى فى كل يوم ألف دينار، وأضعافه على ساحل البحر الأحمر، وبالإسكندرية أيضا يجبى الضرائب على مراكب الغرب، وبالفرما على مراكب الشام، ويؤخذ بالقلزم عن كل حمل درهم(١٤١)؛ لذلك غنم التجار أرباحا وفيرة، حتى أن ابن طولون نفسه عمل بالتجارة لحسابه الخاص، إذ حسن له بعض التجار العمل بالتجارة، فدفع له مرة خمسين ألف دينار؛ ليتاجر له فيها(١٤٢)، وكان لرواج التجارة ونشاطها خلال تلك الفترة؛ الأثر فى ارتفاع حصيلة الجباية وتدفق الأموال على خزائن الدولة بصورة لم تشهدها مصر من قبل؛ فزاد بذلك الإنتاج وكثرت المصانع والأسواق؛ بفضل ما قام به ابن طولون وجيشه من جهود وإصلاحات لتأمين للطرق التجارية(١٤٣).

ومما سبق يتبين أن موقع مصر الاستراتيجى أدى إلى ازدهارها، حيث كانت ملتقى الطرق التجارية، وكان يرسل قواده إلى بعض الأرياف؛ لحمل مال وإصلاح حال، ويأمرهم بالإحسان ويمنعهم من التعسف(١٤٤)، والمحافظة على تجارات الرعية ومحلاتهم(١٤٥)، مما يبين اهتمامه بالتجارة الداخلية وتأمينها.

وكان إصلاح السكة وضرب عملة خاصة بمصر، من الأسباب الرئيسة لتلك النقلة الاقتصادية، فكان الدينار الأحمدى أجود عيارا(١٤٦)؛ لأن ابن طولون كان أكثر اجتهادا من العباسيين فى تخليص الذهب وسبكه تحت إشرافه، وجعل عيار الدينار أكبر من قيمته الاسمية؛ لمنافسة السكة العباسية(١٤٧)، وهدف ابن طولون من نقش اسمه بعد الخليفة العباسى مباشرة؛ للدلالة والإعلان منه عن استمرار خضوعه للخلافة؛ ليكتسب شرعيته فى حكم مصر، وكان هذا العام ٢٦٥هـ/٨٧٨م يمثل الإعلان الحقيقى والفعلى لاستقلاله عن الخلافة العباسية فى مصر والشام، وممارسته لأهم شارات هذا الاستقلال وهو ضرب النقود باسمه فى ظل المفهوم الاسلامى لمصطلح الاستقلال(١٤٨)، وكل ما سبق ساهم في ازدهار حركة البناء والعمران في مصر.

وانعكست آثار النهضة الاقتصادية التى شهدتها مصر، على ثراء الدولة ووضح ذلك من خلال منشآت ابن طولون، كبنائه للمساجد، والبيمارستانات، والحصون(١٤٩)، التى أنفق عليها ملايين الدنانير، مما يملكه(١٥٠) أو من ميزانية الدولة(١٥١).

د- البناء والعمران:

ازدهرت حركة البناء والعمران نتيجة للثراء الاقتصادى، حيث استطاع ابن طولون من اختطاط القطائع، وبناء قصره المعروف بالميدان(١٥٢)، والجامع والمسجد "مسجد التنور"، والقيام بكافة الإنشاءات العمرانية، ويبدو أنه كان يقوم بتوزيع أعمال البناء

والإنشاء على أمراء وقواد الجيش، وكان يتعهدهم بنفسه كل يوم[١٥٣]، فلما أراد أن يبنى له قصرا بنى القطائع محيطة به على مساحة ميل فى ميل[١٥٤]؛ وذلك لكثرة مماليكه وعبيده، وضيق دار الإمارة عليه، فركب إلى سفح الجبل وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى، واختط موضعهما وبنى القصر والميدان، ثم أمر لأصحابه وغلمانه –القادة والجند– أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتا؛ ليسهل التواصل معهم، ففعلوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط، وكان الميدان يمتد بين القصر وجبل يشكر، يمارس فيه سباقات الخيول، ولعبة الصوالجة، ويبدو الميدان كحلبة سباق جميل المنظر حيث يجلس الناس؛ لمشاهدة الخيول يمتطيها غلمان ابن طولون[١٥٥].

وسميت كل قطيعة بالقطائع باسم من سكنها[١٥٦]، فكان للنوبة قطيعة وللروم قطيعة، وللفراشين قطيعة، ولكل صنف من الغلمان قطيعة تعرف بهم، وبنى القواد مواضع لهم، وعمرت القطائع لكافة شرائح المجتمع وتفرقت فيها الشوارع والأزقة، وعمرت فيها المساجد والطواحين والحمامات والأفران والحوانيت، وسميت أسواقها: سوق العيارين يجمع العطارين والبزازين، وسوق الفاميين ويجمع الجزارين والبقالين، وسوق الطباخين ويجمع الصيارفة والخبازين والحلوانيين[١٥٧]؛ مما يدلنا على كفاءة التنظيم الدقيق لتقسيمات مدينة القطائع، شاملة كافة الخدمات.

وبنى قصرا كبيرا، يليه ميدان، وسمى القصر كله ميدان[١٥٨]، وكان للميدان أبوابا لكل باب اسم، فباب الميدان الكبير، كان منه الدخول والخروج لجيشه وكتائبه، سمى بيوم عرض الجيش – القوة العسكرية–، وكان يخرج وسط فرق الجيش؛ لتنفيذ مهامه وتدريباته العسكرية وغيرها؛ مما يؤكد أنه كان يعلم بكل شاردة وواردة وكيفية تنفيذها، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته، وباب الجبل الذى يلى المقطم، وباب الحرم لا يدخل منه إلا خادم خصى أو حرمة، وباب الدرمون يجلس فيه حاجب أسود عظيم الخلقة اسمه الدرمون

وبه سمى الباب – يتقلد جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط، وباب دعناج "حاجب اسمه دعناج"، وباب الساج عمل من خشب الساج، وباب الصلاة، ويعرف بباب السباع؛ لأنه كانت عليه صورة سبعين من جبس(١٥٩).

بيد أن هذه الأبواب لا تفتح كلها إلا فى يوم العيد أو يوم صدقة، أو يوم عرض الجيش، وجعل ابن طولون فى القصر ميدان يلعب فيه الكرة "الصولجة"(١٦٠)، وأتم بناء الجامع على جبل يشكر(١٦١)، وكان يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شئ(١٦٢)، وأنفق عليه أموالا عظيمة، من الكنز الذى وجده ابن طولون(١٦٣)، ويقال أنه وجده على الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون(١٦٤).

وإضافة إلى ذلك بلغ ما أنفقه على بناء الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وعمل له الصناع العاملين به المنارة كما تراءى لابن طولون، وكان محاطا بالعمران والناس من كل جانب، إذ كانت مساحة مقعد ذراع مربع تقع بالخلف منه تؤجر لباعة متجولون باثنى عشر درهما فى النهار لبائع غزل، وبائع خبز، وبائع حمص مسلوق، وفول(١٦٥)، هذا غير ما كشف له بجوار الأهرام من حوض مملوء دنانير(١٦٦)؛ لذا فلا غرابة فى زيادة العمران والإصلاحات التى قام بها، إذ كفته هذه الكنوز دون الحاجة إلى التعسف فى جبى الضرائب، والإساءة إلى الرعية للحصول على المال، لزوم ذلك العمران والتعمير(١٦٧).

ومن المعلوم أنه قرر عدم التفرقة بين العناصر الدينية القاطنة في مصر آنذاك، فعمل المهندس النصرانى "سعيد بن كاتب الفرغانى" "البئر– عين الماء " – بالقرافة الكبرى التى أقامها لابن طولون (١٦٨) وهى من أشهر أعماله التى أقامها له عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، بمنطقة المعافر(١٦٩)، وكانت عبارة عن برج للمأخذ ومشيد بالآجر بداخله بئر

مفرغ مفتوح إلى السماء، وعلى جانبيه غرفتان يغطيهما قبوان، وينقسم البئر إلى قسمين ويسحب الماء منهما بواسطة ساقيتين ترفعانه إلى المجرى فوق ظهر البرج، ثم يسير منه فى مجرى فوق القناطر التى تخرج من البرج، فى انحراف يبلغ أربع عشر درجة على جانب البرج الشمالى، وبعد نحو سبعة عشر مترا ينحرف إلى الشمال بميل قليل نحو الغرب، ثم ينحرف مرة أخرى بعد مائة واثنين وعشرون مترا نحو الشمال بميل إلى الشرق، ويمتد بعد ذلك فى خط مستقيم، وعقود هذه القناطر من النوع المدبب وتشبه عقود الجامع الطولونى، أى أنها ذات مركزين(١٧٠).

ومما يلفت النظر التطور الواضح للبيمارستانات، حيث تم تأسيس أول بيمارستان فى عهده (١٧١)، والذى شيده فى مدينة عسكر المصرية(١٧٢) –على غرار مدينة عسكر بغداد– عام 259هـ/873م، وأُطْلِقَ عليه اسم البيمارستان الأعلى أو العتيق، ووصف بأنه لا نظير له؛ لما به من خدمات ومباني متعددة(١٧٣)، وأنفق على تشييده ما يقارب ستين ألف دينار(١٧٤)، وأوقف عليه عدة أماكن؛ لضمان استمراره ونجاحه.

واهتم بتطبيب كافة شرائح المجتمع تقربا منهم؛ لتدعيم وتوطيد حكمه، وإذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ويودع مع أمين البيمارستان، ويقدم له ملابس خاصة، ويخصص له مكان، وكان حريصاً على تفقده(١٧٥)، وزيارته كل يوم جمعة، ويطوف على خزانة الأدوية، ويتفقد أعمال الأطباء، ويشرف على سائر المرضى، ويعمل على مواساتهم وإدخال السرور إلى قلوبهم، بما فى ذلك ذوى الأمراض النفسية(١٧٦) والعقلية، كما شهد ازدهاراً حينما زوده بمكتبة تزيد عن مائة ألف مجلد(١٧٧)، ووجد به خزانة كتب، كانت فى متناول كل طالب علم، وفيها ما يزيد عن مائة ألف مجلد فى سائر العلوم(١٧٨)، وكان دارس الطب يتلقى أصوله على يد مشاهير الأطباء ويستعين بهذه المكتبة(١٧٩)؛ وذلك لإدراكهم أن البيمارستان هو أكثر أنواع المؤسسات حاجة إلى الكتب والمكتبات، ويرجع ذلك إلى

الدور الذى كان يقوم به والذى تعدى التمريض والعلاج إلى تدريس الطب، بل وأصبح مركزاً لإعداد الأبحاث الطبية، فكانت البيمارستانات بمثابة كليات طب فى عصرنا الحالى(١٨٠)، وهذا إنما يدل على مدى التطور الذى شهده هذا البيمارستان من الناحية الثقافية والعلمية والطبية(١٨١).

ومات ابن طولون في مصر عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م، عقب رجوعه من حروب طرسوس مع البيزنطيين، على إثر علة أصابته ولم يشف منها؛ لعدم تنفيذه نصائح الأطباء(١٨٢)، وكان ذلك بعد استقلاله المؤقت عن الخلافة العباسية، وقيامه بتكوين جيشا قويا، كان سببا في بناء دولة جديدة قوية، ساهم في حركة التنمية الداخلية، والحفاظ على حدودها الخارجية وتأمين ثغورها، بعد القضاء على الثورات والفتن الداخلية، التى كان سببها التعسف في جمع الضرائب، حيث وضع رقابة صارمة للأجهزة الإدارية والمالية تحت إشرافه؛ لتصحيح الأوضاع السابقة على وصوله؛ فاستمال الرعية؛ رغم حزمه الشديد معهم، وذلك بفضل جهود الجيش؛ مما أهله ومكنه من صد البيزنطيين، وتنمية مصر اقتصاديا وعمرانيا، لذلك يمكننا وصفه بالحاكم المستبد المستنير(١٨٣).

الخاتمة:

تبين من خلال هذه الدراسة الجهود العسكرية للجيش المصرى عهد أحمد بن طولون، إذ ظهر جليا المناخ المضطرب سياسيا وإداريا في قلب الخلافة العباسية، هيأت هذه الظروف له تكوين جيشا قويا مستقلا قام بتسليحه؛ فضلا عن إنشاء أسطول بحرى؛ لمواجهة البيزنطيين، وجعل غالبية قادة الجيش من بنى جنسه من الأتراك المقربين له، وأغدق عليهم الأموال بسخاء؛ حتى يضمن الولاء والتبعية له؛ استطاع به تقديم جهود عسكرية عديدة أثرت بالإيجاب على النواحى الاقتصادية والعمرانية في مصر منها:

١- التخلص من الثورات والفتن الداخلية في مصر.

٢- تأمين حدود دولته فى مصر والشام وثغورهما مع الدولة البيزنطية؛ مما يؤكد دور مصر في تأمين المنطقة العربية آنذاك، وما زال ذلك الدور مستمرا.

٣- القضاء على حركات التمرد والعصيان ضد الخلافة في الشام.

٤- توطيد علاقته بالخلافة؛ عن طريق الهبات والعطايا للمسئولين في دار الخلافة؛ فاستتب له الأمر.

٥- اهتم بالرعية حيث خفف الأعباء الضريبية التى فُرِضَتْ سابقا؛ ليقينه أن الرعية مع الجيش هما محور التنمية الشاملة في النواحى الاقتصادية والعمرانية.

٦- كان من آثار تلك الجهود العسكرية القيام بالعديد من المشروعات الإصلاحية في مصر في النواحى الاقتصادية والعمرانية.

٧- ضرب عملة خاصة به، ختم عليها اسمه مع اسم الخليفة؛ مشاركة وتضامنا معه؛ للحفاظ على شرعية حكمه؛ لذلك ذيع صيت مصر الاقتصادى على المستوى الدولى آنذاك.

٨- أصدر تكليفات بإدارة وإشراف معظم المشاريع الاقتصادية والعمرانية لقواده من رجال الجيش للإشراف عليها.

٩- ظهرت مصر لكل القوى المعاصرة آنذاك ولاية قوية ذات سيادة وخصوصية.

وبذلك إذا كان إنشاء قوة عسكرية في مصر هى خط الدفاع الأول عنها؛ فإن المشروعات التنموية هى خط الدفاع الثانى.

الهوامش:

(١) هو أحمد بن طولون الأمير أبو العباس التركى أمير مصر، وكان أبوه طولون مولى نوح بن سامان عامل بخارى وخراسان، أهداه فى جملة مماليكه إلى الخليفة المأمون، فرقاه المأمون حتى صار من جملة الأمراء، وولد له ابنه أحمد هذا سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، من جارية يقال لها قاسم، وحفظ أحمد بن طولون القرآن وأتقنه، وكان من أطيب الناس صوتا به، كثير الدرس وطلب العلم، يعيب على الترك ما يرتكبونه فى حق الخلفاء، ويقول: "حرمة الدين عندهم مهتوكة"، فطلب الخروج إلى الثغر؛ ليكون فى جهاد متصل، وثواب دائم، وكان سياسيا ماهرا ومحاربا عظيما وإداريا كفئا، وتزوج من ابنة عمه خاتون، فولدت له العباس سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م، ووهبه المستعين بالله جارية اسمها "مياس" فولدت له خمارويه سنة خمسين ومائتين. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٣، ص١-٦، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. د.ت. الصفدي :الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط، ج٦، وتركي مصطفى، ص٢٦٦، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت،2000 ، وطولون اسم تركى معناه البدر الكامل. سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٧، الدر القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، وولد لأبيه طولون من جارية تسمى قاسم، وتولى وعمره أربع وثلاثون سنة ويوم واحد، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١، المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج٢، ص٣١٣، طبعة بولاق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

(2) محمود محمد الحويرى: مصر فى العصور الوسطى دراسة فى الأوضاع السياسية والحضارية، ص١٠٤، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦م، وفى مصر بدأ ينمو في البلد وعى بالشخصية المصرية، حسين مؤنس وأخرين: تاريخ الحضارة المصرية، العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى، ص ٤٠٣، مج٢، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

(3) حسن احمد محمود: حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى، ص٤٦/٤٧، دار الفكر العربى، القاهرة.

(4) تعرف التنمية المستدامة بمفهومها الشامل والعام على أنّها عبارة عن نشاط شامل لكافة القطاعات سواء في الدولة أو في المنظمات أو في مؤسسات القطاع العام أو الخاص أو حتى لدى الأفراد، حيث تشكل عملية تطوير وتحسين ظروف الواقع، من خلال دراسة الماضي والتعلم من تجاربه، وفهم الواقع وتغييره نحو الأفضل، والتخطيط الجيد للمستقبل، وذلك عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد والطاقات البشريّة والمادية بما في ذلك المعلومات والبيانات والمعارف التي يمتلكها المقيمون على عملية التنمية. إبراهيم العيسوى: التنمية فى عالم متغير(دراسة فى مفهوم التنمية ومؤشراتها)، ص١٥-٢٥، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٥) سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية، ص٩٥/٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨. فهناك قلوب مريضة، تثبط الهمم، وتخذل الناس وتبطئهم، وتناصر العدو ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، أولئك هم جرثومة الوهن فى الجيش والمجتمع، ومن هنا نرى الأمم الواعية تحذرهم، وتحتاط منهم، وتباعد بينهم وبين كل أمر قد يصلون منه إلى أغراضهم. أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص١٣٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢.

(٦) هو مزاحم بن خاقان بن عرطوج (أو أرطوج) أبو الفوارس: قائد من ولاة العباسيين تركي الأصل بغدادى المنشأ، أخو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، أرسله المعتز العباسي في جيش كبير من العراق سنة ٢٥٢ هـ/٨٦٦م؛ لإخماد ثورة نشبت في الإسكندرية على أمير مصر (يزيد بن عبد الله) فقدمها وقمع الثورة، فولاه المعتز إمرة الديار المصرية (لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين هجرية/ثمانمائة وسبع وستون ميلادية، وتتابعت في أيامه الفتن. وكان شديداً صلبا. وأبطل كثيرا من البدع وعاقب عليها. وتوفى بمصر وهو في الإمارة، وكانت مدة ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٣٧/٣٣٨، الزركلى: الأعلام، ج٧، ص٢١١، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

(٧) ولى إمرة مصر بعد موت أبيه باستخلافه على مصر، فأقره الخليفة المعتز بالله على ذلك، وكانت ولايته فى الخامس من محرم سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، وكانت مدة ولايته شهرين ويوما واحدا. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٤١.

(٨) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٤١/٣٤٢.

(٩) " هو محمد (المعتز بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم أخو المنتصر بالله، ولد في سامراء. وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس، ثم أضاف إليه خزن الأموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولي المستعين بالله (سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م) سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين، وبايعوا له (سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م) فكانت أيامه أيام فتن وشغب، وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شابا، وكان فصيحا، فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب رفقاء السوء منه، فخلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، كانت مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و اربعه عشر يوما. الزركلى: الأعلام، ج٦، ص٧٠.

(١٠) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون ص٦.

(١١) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٤، ابن سعيد المغربى: الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون، ص٤، طبعة برلين، ١٨٩٤، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٢٤. البلوى: سيرة ابن طولون، ص٣٥/٣٦، ROBERT L. TIGNOR: Egypt within Islamic Empires,p139, Princeton University Press, 2010، Corbet Eustace. K: The Life and Works of Aḥmad ibn Ṭūlūn, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, pp 527-562, Published by: Cambridge University Press, 1891.

(١٢) كان مقبلا على التدريب العسكرى بمثابرة وحماسة شديدة من نعومة أظفاره، وامتاز بمهاراته العسكرية" وكان حسن الرمى بالنشاب، لا يخطئ شيئا. البلوى :سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، ص34، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، الموسوعة الإسلامية، ستانلى لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن، تقديم أيمن فؤاد سيد، ص٨١، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م، The Encyclopaedia of Islam,New Edition,Volume 1, leiden, Brill, pp278-280, 1986 .

(١٣) المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوى، ج١، ص٤١٨، ط١، دار الغرب الاسلامى، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، حسن محمود :حضارة مصر الإسلامية، العصر الطولوني، ص25 ، جيهان ممدوح أمين: الدولة الطولونية والأخشيدية فى مصر، ص٦، ط١، سلسلة عصور مصرية، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٧.

(١٤) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، المقدمة، ص٢١.

(١٥) طُرْسوس: بلدة بالثغور الشامية على بعد ثلاثين كيلومتر من مرسين، موقعها الآن على البحر المتوسط جنوب تركيا، كانت إلى القرن الرابع من الهجرة مقر الزهاد والعلماء، واستولى عليها الروم ثم الصليبيون، ثم فتحها المماليك التركمان أصحاب مصر، ودخلت في القرن العاشر في حوزة الدولة العثمانية، وهى اليوم كورة كيليكيا، وتعد من ولاية أذنة، وفيها قبر أمير المؤمنين المأمون العباسى، ويبدو أنه آمنها؛ فاستقرت الأحوال فيها. البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٣٧، وضبطها البكرى في معجم ما استعجم بضم الأول وإسكان الثانى وقال أنها معروفة من الثغور الجزرية. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ج٣، ص٨٩٠، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، ياقوت الحموي :معجم البلدان، ج٤، ص٣١-٣٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ستانلى لينبول: سيرة القاهرة، ص٨١، Corbet Eustace K: The Life and Works of Ahmad ibn Tulun, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, pp 527-562.

(١٦) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٩٧/٩٨، الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، طبعة الآبا اليسوعيين، ص٢٢٠، بيروت، ١٩٠٨م.

(١٧) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢١٩).

(١٨) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٢١.

(١٩) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢١٣/٢١٤.

(٢٠) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٢/٧٣، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢١٧/٢١٨، ٢٦٨.

(٢١) ذكر المقريزى أن ابن طولون كان أول من أدخل السودانين في جيش مصر، وذكر من هذه الطوائف السودانية: الفرحية والريحانية والميمونية والحسينية والمنصورية. الخطط، ج١، ص١٥٢، عبد الرحمن ذكى: الجيش المصرى في العصر الاسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة، ص١٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

(٢٢) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٥٢.

(٢٣) وكان بالجيش المصرى قادة وجنود من الطرسوسيين (طرسوس)، كان ابن طولون قد وجه قائده "يلبق الطرسوسى" على رأس جيش كثيف معظم أفراده من الطرسوسيين؛ لمواجهة أبى روح الذى ثار ضد حكم أحمد بن طولون فى عام ٢٦٠هـ/٨٧٤م، فى بوادى بحيرة الإسكندرية، وهزم جيش ابن طولون. محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ص٥٢.

(٢٤) حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٤٧.

(٢٥) ابن تغردى بردى: النجوم، ج٣، ص١-١٥، محمد كرد على: الاسلام والحضارة العربية، ج٢، ص٢٤٤، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٣٥، مكى شبيكة: السودان عبر العصور، ص٣٩، دار الجيل،

بيروت، ١٩٩١م، وإذا كان العرب قد عربوا مصر ثقافيا، فإن مصر قد مصرتهم جنسيا، وتعريب المصريين قد تحول إلى تمصير العرب. جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، ج٢، ص٣٠٦، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣.

(٢٦) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٥.

(٢٧) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٩. عبد الرحمن ذكى: الجيش المصرى فى العصر الإسلامى، ص١٤،

(٢٨) إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص١١٨، ط١، دار رياض الصالحين، الفيوم، مصر، ١٩٩٤م.

(٢٩) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٠٩/١١٠، ص٣٣٦، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٣٣، عبد الرحمن ذكى: الجيش المصرى في العصر الاسلامى، ص١٣/١٤، أمينة بيطار: الحياة السياسية وأهم المظاهر الحضارية، ص٣٦٩/٣٧٠، رسالة دكتواره، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

(٣٠) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٨٤، محمد عيد قويدر سلامة القعاقعة: أوضاع الثغور الاسلامية الشامية في فترة الحكم الطولونى لبلاد الشام ٢٦٤-٢٩٣هـ/ ٨٧٧-٩٠٥م، ص١٤٥، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية، مج٧، ع١، ٢٠٠٠، ومن الثغور المصرية البرلس ورشيد والإسكندرية وذات الحمام والبحيرة وإخنا ودمياط وشطا وتنيس والأشتوم والفرما والواردة والعريش وأسوان وقوص والواحات، فيأتى منها خطر الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان. المقريزى: الخطط، ج١، ص٩٢.

(٣١) سيدة إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الولاة، ص٥٤، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٣٥، وكان الجند فى مصر عربا حتى نهاية الدولة الأموية، وفى العصر العباسى جدت عليه عناصر فارسية، ودونت فى ديوان الجند مع العرب، ثم ما لبث أن ظهر عنصر أخر طغى على العنصر العربى والفارسى، وهم الجند الأتراك، الذين استكثر منهم الخليفة المعتصم وأثبتهم فى الديوان ، بل أنه "المعتصم" أمر واليه كيدر نصر بن عبد الله

بإسقاط العرب من الديوان، وقطع أعطياتهم فى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م؛ وكان من أثر ذلك أن انتشر العرب فى أنحاء مصر يسعون وراء الرزق عن طريق آخر غير طريق الجهاد والحرب، فاحترفوا الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المهن والحرف التى كانت إلى ذلك الوقت وقفا على أهل البلاد.

(٣٢) عبد الرحمن ذكى: الجيش المصرى فى العصر الإسلامى، ص١٢.

(٣٣) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص١١١، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٧.

(٣٤) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٣٦.

(٣٥) البلوي :سيرة أحمد بن طولون، ص230، ابن الداية: المكافأة، ص٧-١٠، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٥٠.

(٣٦) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٩.

(٣٧) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٢٨-١٣٠، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٣٧، محمود محمد السيد على خلف: أبناء الفرغانى رواد علم الهندسة المعمارية في مصر الاسلامية، مجلة الوعى الاسلامى، السنة ٥٤، عدد٦٢٣، ص١٨، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية، القاهرة، ٢٠١٧.

(٣٨) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٥٨-٥٩.

(٣٩) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٦. محمود محمد الحويرى: مصر فى العصور، ص١٠٤.

(٤٠) هو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب. وانتهى أمره بهروبه عن طريق البحر إلى مكة، ثم بُعِثَ به إلى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه، فخرج إلى المدينة، فمات. الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢١٣/٢١٤، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٦، محمود محمد الحويرى: مصر فى العصور الوسطى، ص١٠٥.

(٤١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٤٧، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٠-٥٦، دار النفائس، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

(٤٢) هو أحمد بن محمد بن عبيد الله بن المدبر الضبى أبو الحسن الكاتب، من بيت علم ورئاسة – أديب وشاعر وواحد من الكتاب النبلاء والمفكرين فى عصره، إيمان مصطفى عبد العظيم: سياسات الخراج المصرى بين العسف والعدل فى عهدى ابن المدبر وابن طولون "٢٤٧-٢٧٠هـ/٨٦١-٨٨٣م" دراسة تحليلية مقارنة، ص٣١٩، مجلة حوليات أداب عين شمس، مجلد ٤٤، ٢٠١٦م.

(٤٣) وكان عامل البريد موظفا في مقر الخلافة أو السلطان، ويرحل إلى سائر الأقاليم؛ ليكون عينا للحكومة المركزية على الولاة وغيرهم من الموظفين، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٤٧، وكان من مهامه إدارة نظام الجاسوسية، ومن هنا كان لقبه الكامل "صاحب البريد والأخبار. فيليب حتى وآخرين: تاريخ العرب مطول، ج٢، ص٤٠٢، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٥٠م.

(٤٤) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٧٣.

(٤٥) ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾. القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية ٩٦، المقريزى: الخطط، ج١، ص١٧٣.

(٤٦) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٦٧، ج٢، ص٣١٤، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٤٧-٤٩.

(٤٧) ابن الداية: المكافاة، صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين وعلى الجارم، ص١٣١/١٣٢، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٩٤١م.

(٤٨) الغور بضم أوله وسكون ثانيه، جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهى بلاد واسعة موحشة، والغالب أن هؤلاء الغلمان من تلك البلاد؛ لأن الغور بفتح العين، والساكنون في الأغوار في العادة سُمر

البشرة، وأقوياء في البنيان، فينتخبهم ذوى السلطة كقوة تحميهم وتدافع عنهم. البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٤٤.

(٤٩) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٤.

(٥٠) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٤٩/٥٠.

(٥١) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٦٠.

(٥٢) وحين كان الموفق يكلف القواد بالخروج على ابن طولون في مصر، كان هؤلاء الأعوان لابن طولون يستوقفونه، فإذا ما شارف على الخروج من العراق طالبوه بما عليه لهم من ديون، ويخوفونه بأنهم لا يتوقعون عودته مرة أخرى ؛ لما سيلاقيه من المائة ألف عنان، ويرغبونه في ابن طولون، الذى أرسل لك كذا وكذا، ويقول لك يا أخى وابن عمى ما يهمنى في العسكر غيرك، فيلين الرجل ويرجع عن الخروج لابن طولون. ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٩، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٦، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، ليبيا، ٢٠١٠.

(٥٣) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٣٩، الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢١٦، المقريزى: المقفى الكبير، ج١، ص٤٢١، ط١، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٣.

(٥٤) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٦٠-٦٢، ٦٦.

(٥٥) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٤.

(٥٦) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٤٣.

(٥٧) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٦، إيمان مصطفى عبد العظيم: سياسات الخراج المصرى بين العسف والعدل، ص٣٢٧.

(٥٨) حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٥٦، ص٥٩، أحمد عبد الرازق أحمد: تاريخ وآثار مصر الاسلامية، ص٥٧-٦٠.

(٥٩) قال المقريزى:" إنه على جبل المقطم من وراء قلعة الجبل فى شرقيها، ويقال إن تنور فرعون لم يزل فى هذا الموضع بحاله إلى أن خرج إليه قائد من قواد ابن طولون يقال له وصيف قاطرميز وحفر تحته وقدر أن تحته مالا فلم يجد شيئا وزال رسم التنور وذهب، المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٥٥.وكان من حجاب القصر "رجل يدعى أبى الذؤيب" وربما كان يجلس يأكل معه وينادمه. البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢١٧، المقريزى: أخبار قبط مصر مأخوذة من كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ص٦٩، د.ت، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ص١٩، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م.

(٦٠) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٠٦/٢٠٧، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٢١،

(٦١) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٢٣-٢٥.

(62) الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢١٤/٢١٥، المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٥، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٦٣-٦٥.

(63) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٦٨.

(64) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٦٨.

(65) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٧، سيدة الكاشف: أحمد بن طولون، ص٦٩، الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢١٧، وكان ذلك فى سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م. محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ص٥٠، ط١، ROBERT L. TIGNOR: Egypt within Islamic Empires,p139. انظر ملحق رقم ١ خريطة توضح الثغور الشامية.

(66) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٦/١٧، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٧٠/٧١.

(67) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٩.

(68) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٩.

(69) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٨٠، Corbet Eustace K: The Life and Works of Aḥmad ibn Ṭūlūn, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, p548. 1891.

(70) الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢١٧/٢١٨، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٠/٢١، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٨١.

(71) القضاعى: تاريخ القضاعى، دراسة وتحقيق جميل عبد الله محمد المصرى، ص٤٧٣/٤٧٤، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامى، مكة المكرمة، ١٩٩٥م، محمود محمد الحويرى: مصر فى العصور، ص١٠٨.

(72) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٠/٢١، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٨٣.

(73) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٨٥.

(74) المقريزى: مأثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج١، ص٢٥١، عالم الكتب، د.ت، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٨٩، أنظر ملحق رقم ١ خريطة الدولة الطولونية في مصر وبلاد الشام.

(75) فيليب حتى وآخرين: تاريخ العرب (مطول)، ج٢، ص٥٤٤.

(76) القضاعى: تاريخ القضاعى، ص٤٧٥.

(٧٧) ولو تم لابن طولون ما خطط له، لظهر في صورة حامى الخلافة والمدافع عن حقوقها، وأدرك الموفق أنه إذا تم هذا الأمر، استولى ابن طولون على أمر الخليفة؛ فيكون سببا لزوال بنى العباس، لكن ابن طولون لم يرد إنقاذ الخلافة بقدر ما أراد تجريد الموفق من السند الشرعى الذى يستند عليه، فقد كان يجبر الخليفة المعتمد على توقيع المراسيم التى يريد، فإذا نجح ابن طولون فى تحقيق هذا، لم يكن أيسر من أن تتحرك قواته المعسكرة على حدود العراق، وتدخل العراق بحجة الدفاع عن حق الخليفة، أو على الأقل تصبح مصر دارا للخلافة، ويصبح ابن طولون حامى الخليفة ووصيا عليه، بدليل قوله:" أريد أن أنتاش الخليفة من تلاعب أبى أحمد "الموفق" وغيره وانقل كرسى الخلافة إلى مصر". البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٩٠، الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢٢٥/٢٢٦هـ-٨٣٩/٨٤٠م، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ص٨٠-82، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٠٣-١١١.

(٧٨) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٤، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٧، المقريزى: الخطط، ج١، ص١٦٧.

(٧٩) في مارس من كل عام عندما تجف البحيرات الممتدة حوالى ثلاثين كيلو متر إلى الجنوب الشرقى في منطقة النطرون شمال غرب مصر، تظهر على شواطئها طبقة سميكة من الأملاح ذات اللون الوردى، تنبعث منها رائحة ذكية أقرب ما تكون إلى رائحة الورد، وتحت هذه الطبقة يوجد النطرون، وهو مادة أولية لونها مائل إلى الاصفرار، تنتج من تفاعل الأملاح البحرية مع كربونات الجير الذى من مركباته كربونات الصودا، وكان يستخدم قديما في التحنيط، وما زالت تستخدم إلى الآن فى صناعة الصابون. فؤاد فرج: القاهرة، ج١، ص٧٩، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٣.

(٨٠) ويقول المقريزى في خططه:" في إمارة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر، وقد خربت أرض مصر حتى بقى خراجها "ثمانمائة ألف ألف دينار"، ونعتقد أن الصحيح هو مبلغ ثمانمائة ألف دينار فقط وليس ثمانمائة ألف ألف دينار، فاستقصى ابن طولون في العمارة وبالغ فيها، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار. الخطط،

ج١، ص١٥٩، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٧١، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٥٢، ص٥٦.

(٨١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٧.

(٨٢) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٦، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٨،ص٤١، المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٢، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧/٥٨.

(٨٣) وقد عرف فى العهد الطولونى باسم العميد. سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٦٦/١٦٨.

(٨٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٩، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٥.

(٨٥) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٥، أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص١٠٥.

(٨٦) ومما لا غنى عنه لأراضى مصر، الجسور بنوعيها السلطانية والبلدية، ويتولى ذلك أعيان أمراء الدولة. المقريزى: الخطط، ج١، ص١٦٢.

(٨٧) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٧.

(٨٨) الإصطخرى: مسالك الممالك، ص٥٢-٥٥، طبعة ليدن، ١٩٢٧، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٨.

(٨٩) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٠١، طبعة ليدن، ١٨٧٧ م، أمينة بيطار: الحياة السياسية وأهم المظاهر الحضارية، ص٤٤٩.

(٩٠) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٧.

(٩١) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٤، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٥١-٥٣ نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٥.

(٩٢) وكان ابن طولون يقوم بمعاقبة القماحين؛ وإذا ارتفع سعر القمح. ابن الداية: المكافأة، ص١٣٣، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٠٠.

(٩٣) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٥٩، ج٢، ص٣٣١، ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢٦، مطابع الشعب، ١٩٦٠م، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٩٩.

(٩٤) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٦٣.

(٩٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣١.

(٩٦) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٤٧.

(٩٧) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢١٣، وكان من العادات المعروفة أن يكتب على الثوب اسم الشخص الذى أمر بعمله. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة، ص١٦٤، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٩،

(٩٨) التنيسى: أنيس الجليس في أخبار تنيس المسمى بتاريخ تنيس، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال، ص١٨٨، د.ن، ١٩٦٦.

(٩٩) حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٢١٠-٢١٥.

(١٠٠) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٠٢.

(١٠١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٤٣، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة، ص١٦٣، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٠.

(١٠٢) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٠١، التنيسى: أنيس الجليس فى أخبار تنيس، ص١٧٨/١٨٨، المقريزى: الخطط، ج١، ص٢٨٦-٢٩٤، سيدة إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الولاة، ص١٦٢، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٠.

(١٠٣) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١١.

(١٠٤) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٤، سيدة الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٠٣/٢٠٤، سيدة الكاشف: مصر فى عصر الولاة، ص١٦٨/١٦٩، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٣.

(١٠٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٠٣، سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة، ص١٦٩/١٧٠.

(١٠٦) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٠٣، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، ج٢، ص٣١١، ط٥، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، د.ت.

(١٠٧) فؤاد فرج: القاهرة، ج١، ص٧٩، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٠٢/٢٠٣). سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة، ص١٦٨، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٣.

(١٠٨) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٠.

(١٠٩) سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص٦٠/٦١.

(١١٠) أمينة بيطار: الحياة السياسية وأهم المظاهر الحضاري، ص٣٦٩.

(١١١) "الشونة" وهى مراكب كبيرة فيها أبراج وقلاع، تتسع لمائة وخمسون رجلا، ويحركها مائة مجداف، ومنها "الحراقة " يحمل فيها منجنيقات يرمى بها النفط المشتعل على الأعداء،

و"الطرادة" وهى سفن صغيرة سريعة الجرى. نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٠.

(١١٢) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٨٦/٨٧، ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢٩، محمد عيد قويدر سلامة القعاقعة: أوضاع الثغور الاسلامية الشامية في فترة الحكم الطولونى لبلاد الشام ٢٦٤-٢٩٣هـ/ ٨٧٧-٩٠٥م، ص١٤٦. Fahmy Ali Mohammed : Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the seventh to tenth century A.D,London,pp44-45 , 1950.

(١١٣) الكلاليب: نوع من الخطاطيف الحديدية يستخدمها البحريون للرمى على مراكب العدو لجذبها وشدها والعبور إليها لمقاتلتها، والباسليقات: هى سلاسل تنتهى عند رؤوسها برمانة من الحديد كانت تستخدم فى القتال على سطح السفن، والتوابيت: هى صناديق مفتحة من أعلاها تنصب بأعلى الصوارى يصعد إليها المقاتلون, ومعهم قطع من الحجارة يضعونها فى مخلاة تعلق إلى جانب التابوت ,ويرمون بها الأعداء، قوارير النفط، وهو نفط خاص بإحراق المراكب، ويجهز من قطران وكبريت ومواد أخرى شديدة الاشتعال، ولا تنطفئ النيران التى تنشأ من هذا النفط بملامسة الماء، ويطلق النفط من آلة من النحاس أو الحديد تعرف بالنفاطة، جرار النورة: وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ ,يرمون بها فى مراكب العدو, فتعمى الرجال بغبارها، اللجام: وهى حديدة طويلة محددة الرأس, وأسفلها مجوف كسنان الرمح، تدخل من أسفلها فى خشبة بارزة فى مقدمة المركب ,فيصير اللجام كأنه سنان رمح بارز من مقدمة السفينة، فيحتالون فى طعن مراكب العدو به، فإذا أصاب جانب المركب بقوة خرقه وخشى معه الغرق ؛مما قد ينصب فيه من الماء, فيبادر أصحابه بطلب الأمان، والسيوف كانت مصقولة ومنها المحدبة، والرماح أنواعها كثيرة منها القنطاريات المدهونة المذهبة، وهى الرماح القصيرة، ومنها المزاريق والفريجيات والضوارى والصبريرات وهى الرماح الطويلة المخصصة للطعن، أما الفؤوس فسلاح من الحديد له رأس نصف مستدير مبطط حاد النصل ومقبضه خشبى، ويسمى أحيانا بلطة أو طير. والأقواس والنشاب: آلات لقذف النشاب ذات النصول المثلثة الأركان، وتصنع من خشب السنديان وهى أشد أنواعها وتنصب عادة على الأبراج وما شابهها، ومنها ما يوتر

بدفع الرجلين – القدمين– لها وتصنع عادة من خشب التخش، ومنها أقواس لرمى قوارير النفط وتصنع من خشب الصنوبر، المنجنيق والعرادات: وهى آلات لقذف الأحجار الضخمة المضرسة ,التى توضع على الكفة, ثم تقذف على الأهداف بواسطة الشد على لوالب وتستخدم كذلك لقذف النفط وجرار الزيت المغلى والقدور المجهزة خصيصا؛ لقذف مراكب الأعداء. وفيق بركات: فن الحرب البحرية في التاريخ العربى الإسلامى، ص ١٣٨–١٤١، معهد التراث العلمى العربى، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٥.

(١١٤) سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٣٥–١٤٠، أحمد مختار العبادى و السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، ص١٢–١٧، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى، ص١٤٧/١٤٨، ص١٥٠، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٤٨.

(١١٥) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٠٨، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٨، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٢، Fahmy Ali Mohammed : Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean, p44–45. وهو شجاع بن أسلم بن محمد بن شجاع، أبو كامل، ت نحو ٣٤٠هـ/٩٥١م: عالم بالحساب، مهندس، مصري. من كتبه (المساحة الهندسة) و (الجبر والمقابلة) و (طرائف الحساب)، فاضل وقته وعالم زمانه وحاسب أوانه. القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٤٣، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م، الزركلى: الأعلام، ج٣، ص١٥٧،

(١١٦) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٠، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٠/٤٣،

John Tolan, Gilles Veinstein and Henry Laurens : Europe And the Islamic World: In Search of Egyptian Gold: Traders in the Mediterranean, pp74–76, Princeton University Press , 2013.

(١١٧) ابن الداية: المكافأة، ص٥١.

(١١٨) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٣.

(١١٩) السيد عبد العزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامى، ص٦٥، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٠، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٣/٤٤.

(١٢٠) المقدسى: أحسن التقاسيم ص١٦٣، محمد عيد قويدر سلامة القعاقعة: أوضاع الثغور الاسلامية الشامية في فترة الحكم الطولونى لبلاد الشام ٢٦٤-٢٩٣هـ/٨٧٧-٩٠٥م، ص١٤٦/ ١٤٧.

(١٢١) أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، ص٦٥، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٤،

(١٢٢) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٤،

(١٢٣) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٤.

(١٢٤) النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلى فواز، ج٢٨، ص١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، محمد عيد قويدر سلامة القعاقعة: أوضاع الثغور الاسلامية الشامية، ص١٤٧.

(١٢٥) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٥.

(١٢٦) الصندل هو مركب حربى كبير مسطح ,كان مخصصا لنقل المقاتلين والأسلحة ويسمى باللاتينية (Chelandium)، والعشاريات: هى نوع من المراكب التى تسير في النيل، وتبحر بعشرين مجافا وتتبع الأسطول. وفيق بركات: فن الحرب البحرية في التاريخ العربى الإسلامى، ص١٥٢- ١٥٣، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٤٦-٤٩.

(١٢٧) اليعقوبى: البلدان، ص٩٤/٩٥، المطبعة الحيدرية، العراق، ١٩١٨م، المقريزى: الخطط، ج١، ص٣١٧، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٢.

(١٢٨) ابن الداية: المكافأة، ص٦٢.

(١٢٩) ظهروا في عهد ابن طولون ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م، عندما تولى جدهم أحمد بن إبراهيم الماذرائى الأطرش الخراج، وانفرد بولاية الخراج في مصر، وارتفع شأنهم بعد وفاته. سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٦٠، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٢٠.

(١٣٠) من أهل فارس، من نسل عبد الحميد الكاتب، خدم أربعة منهم في البيت الطولونى، حسين الخادم في بلاد الشام ثم التحق إلى خدمة ابن طولون، وتولى أعمال البريد، وكانوا يعيشون في مصر وينتهجون منهج الماذرائيين في حياتهم الاجتماعية وإقبالهم على الترف. سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٧٢، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٢١.

(١٣١) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٢٠،

(١٣٢) وشرب أهل الإسكندرية من النيل، يدخل عليهم أيام زيادته، فى قناة فيملأ صهاريجهم. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٩٧، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٠٤/٢٠٥.

(١٣٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٩٨، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٧.

(١٣٤) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٧٠، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٥.

(١٣٥) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥٣/١٥٤، ليدن ١٨٨٩، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص٢٠٧/٢٠٨، عطية القوصى: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ص٣٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

(١٣٦) ابن الداية: المكافأة، ص١٣٨.

(١٣٧) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٣، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٧٧/١٧٨.

(١٣٨) عطية القوصى: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٦٨.

(١٣٩) حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٥٤.

(١٤٠) عطية القوصى: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٦٩.

(١٤١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢١٣.

(١٤٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٢، عطية القوصى: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٧١.

(١٤٣) حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية، ص٢٢٠، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٨.

(١٤٤) نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٩، ٢١.

(١٤٥) المقريزى: الخطط، ج٤، ص٣٩، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١١.

(١٤٦) المقريزى: رسائل المقريزى، النقود القديمة الإسلامية، تحقيق رمضان البدرى و أحمد مصطفى قاسم، ص١٦٩، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨م، المقريزى: الخطط، ج١، ص٦٤-٦٦، سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٩٥/١٩٦).

(١٤٧) ضيف الله يحيى الزهرانى: زيف النقود الاسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكى، ص٦٠، ط١، ١٩٩٣.

(١٤٨) جمال عبد الرحيم إبراهيم: دينار طولونى نادر ضرب مصر سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م، عدد٣٩، ص١٢، Lane poole Stanley: Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the khedivial library at cairo, london, p135-136,

1897، علاوة على زيادة الخراج إلى نحو أربعة ملايين وثلاثمائة ألف دينار رغم إلغاء الضرائب التى أحدثها ابن المدبر مسبقا. سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٩٩.

(١٤٩) بناه ابن طولون حين تيقن من جدية موسى بن بغا في محاربته؛ وفقا لأوامر الموفق له بذلك، ورأى ابن طولون أن يجعل الجزيرة حصنا منيعا؛ للتصدى لابن بغا، واجتهد ابْن طُولُون فِى بُنْيان المراكب الحربية وإطافتها بالجزيرة، وأظهر الامتناع من مُوسى بْن بُغا بكلّ ما يستطيع؛ وليجعل منها معقلا لماله وحرمه، وكان ذلك سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م. الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢١٧/٢١٨، وفيها موضع يسمى "المختارة" فيه منتزهات ملوك مصر. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٩٩.

(١٥٠) وبلغت عوائد ممتلكاته مائتى وخمسين ألف دينار كل سنة. وتبين سيرة ابن طولون لابن سعيد المغربى، أنه خلف عشرة مليون دينار، وفى جيشه من الموالى سبعة آلاف رجل, ومن الغلمان أربعة وعشرين ألف غلام، ومن الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس، ومن الجمال ألفين وسبع مائة جمل، ومن البغال ستمائة بغل، ومن المراكب الحربية مائة مركب ,ومن الدواب الركابة مائتان وثلاثون دابة. البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٣٤١، ص٣٤٩، ابن سعيد: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٦. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٢، ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢٩، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٩،

(١٥١) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٦.

(١٥٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ٣٣٥.

(١٥٣) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٨٧/٨٨، وكانت مصر فى عهد ابن طولون، مقسمة إلى كور، وكان أصحاب الكور مسئولين أمامه مباشرة. سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، ص١٦٧، عبد الرحمن ذكى: الجيش المصرى فى العصر الإسلامى، ص١٤، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص١٩، ٢١.

(١٥٤) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٣، ص٣٤١. ومسافة الميل تساوى ١.٦٠٩ متر تقريبا، وأراد ببنائها أن يشبع طموحه نحو الترف والأبهة ؛محاكيا بها ما رآه في مدينة سامرا. فريد شافعى: العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج١، ص٤٢٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

(١٥٥) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٥، وجعل ابن طولون الميدان أمام قصره، وكانت تقام فيه المسابقات في فنون القتال بين الأمراء ورجال الجيش ,ويتدرب فيه الجند، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ط١، ص١١، فريد شافعى: العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج١، ص٤٢٣، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧، نعيمة سالم عاشور المصراتى: الدولة الطولونية في مصر والشام، ص٢٥/٢٦.

(١٥٦) على غرار الفسطاط، إذ كان الجيش الفاتح لمصر زمن عمرو بن العاص مقسما حسب القبائل، وروعى هذا التقسيم فى مدينة الفسطاط التى اختطها العرب، وأتخذت كل قبيلة لنفسها خطة مستقلة عن الأخرى. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ٣٣٦، سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة، ص٥٤.

(١٥٧) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٥، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٤/١٦، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ص١٣، ط١.

(١٥٨) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٣٥/٣٣٦.

(١٥٩) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٥.

(١٦٠) والمراد بذلك لعبة الكرة المعروفة عند الانجليز والفرنسيين باسم "بولو"، وهى شبيهة بلعبة كرة القدم وإنما تلعب على الخيل. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٥، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ط١، ص١١، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧/٥٨.

(١٦١) نسبة إلى يشكر بن جديلة من لخم, قبيلة من قبائل العرب, حطت عند الفتح بهذا الجبل ؛فعرف بجبل يشكر، وهو مشهور بإجابة الدعاء، وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات. المقريزى: الخطط، ج١، ص٢٠١. محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧/٥٨.

(١٦٢) المقريزى، الخطط،ج٢، ص٣١٥/٣١٦، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ط١، ص١٨، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧/٥٨.

(١٦٣) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٨، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧/٥٨.

(١٦٤) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٦٥، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ط١، ص١٩، محمد سهيل طقوش: تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، ص٥٧/٥٨.

(١٦٥) وكان عدد مقاعد بيع ذلك الحمص المسلوق ثلثمائة وتسعين مقعدا. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٣١، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٣٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٨-١١.

(١٦٦) ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٣٣، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٤.

(١٦٧) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٠-٣٠. ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٨.

(١٦٨) هى مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب للأكابر مثل ابن طولون والماذرائى، تدل على عظمة وجلال. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٣١٧، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.

(١٦٩) وهى أرض منزرعه غربى الفسطاط، وكانت تعرف ببركة المعافر، وكان فى شرقيها جنات تعرف بالحبش ؛ فنسبت إليها. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٠.

(١٧٠) أحمد عبد الرازق أحمد: تاريخ وآثار مصر الاسلامية، ص١١٦/١١٧، جيهان ممدوح مأمون: الدولة الطولونية والأخشيدية فى مصر، ص١٠، ط١، محمود محمد السيد على خلف: أبناء الفرغانى رواد علم الهندسة المعمارية في مصر الاسلامية، ص١٨،

(١٧١) المقريزي، المواعظ، ج3 ، ص165، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج1 ، ص١٢٧.

(١٧٢) عسكر: بناها الخليفة العباسى المعتصم في بغداد على نهر دجلة؛ لما ضاقت بغداد من عساكره الذين كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين ألف، فمدوا أيديهم إلى حرم الناس, وسعوا بالفساد، وعندما اشتكت العامة للمعتصم، عزم على بناء منطقة خاصة للجيش، سماها عسكر. ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص٢٣. مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الاسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية ١-٦٥٦هـ، ص٢٨، رسالة ماجستير، منشورة، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية بغزة – فلسطين، ٢٠٠٩م.

(١٧٣) المقريزي، المواعظ، ج ١، ص٣٨٤.

(١٧٤) النويري، نهاية الأرب، ج28 ، ص١٠، ط١، تحقيق نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلى فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٤٦، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، المقريزي، الخطط، ج1 ، ص383، القلقشندي، صبح، ج1 ، ص337، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١، ص.270.

(١٧٥) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص١٨٠، المقريزي، المواعظ، ج3 ، ص16 .

(١٧٦) ابن دقماق، الانتصار، ج1 ، ص٩٩، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص74، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

(١٧٧) المقريزي، المواعظ، ج3 ، ص166 ، ابن تغرى بردى: النجوم، ج1 ، ص421.

(١٧٨) ابن تغرى بردى: النجوم، ج4 ، ص101.

(١٧٩) مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الاسلامية، ص٧٠.

(١٨٠) ابن تغرى بردى: النجوم، ج4 ، ص101، أمانى محمد السيد، مكتبات المستشفيات، ص15، ط١، تقديم نبيلة خليفة جمعة، إيبيس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

(١٨١) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم سهيل زكار، ج2 ، ص٨٣١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، القلقشندى: مآثر الآنافة، ج٣، ص٣٤٦، مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الاسلامية، ص٦٥.

(١٨٢) المقدسى: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٢، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨، ابن سعيد المغربى: سيرة أحمد بن طولون، ص٧٠-٧٣، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٨/١٧.

(١٨٣) زكى محمد حسن: مصر والحضارة الاسلامية، ص١٠، مؤسسة هندواى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

الملاحق

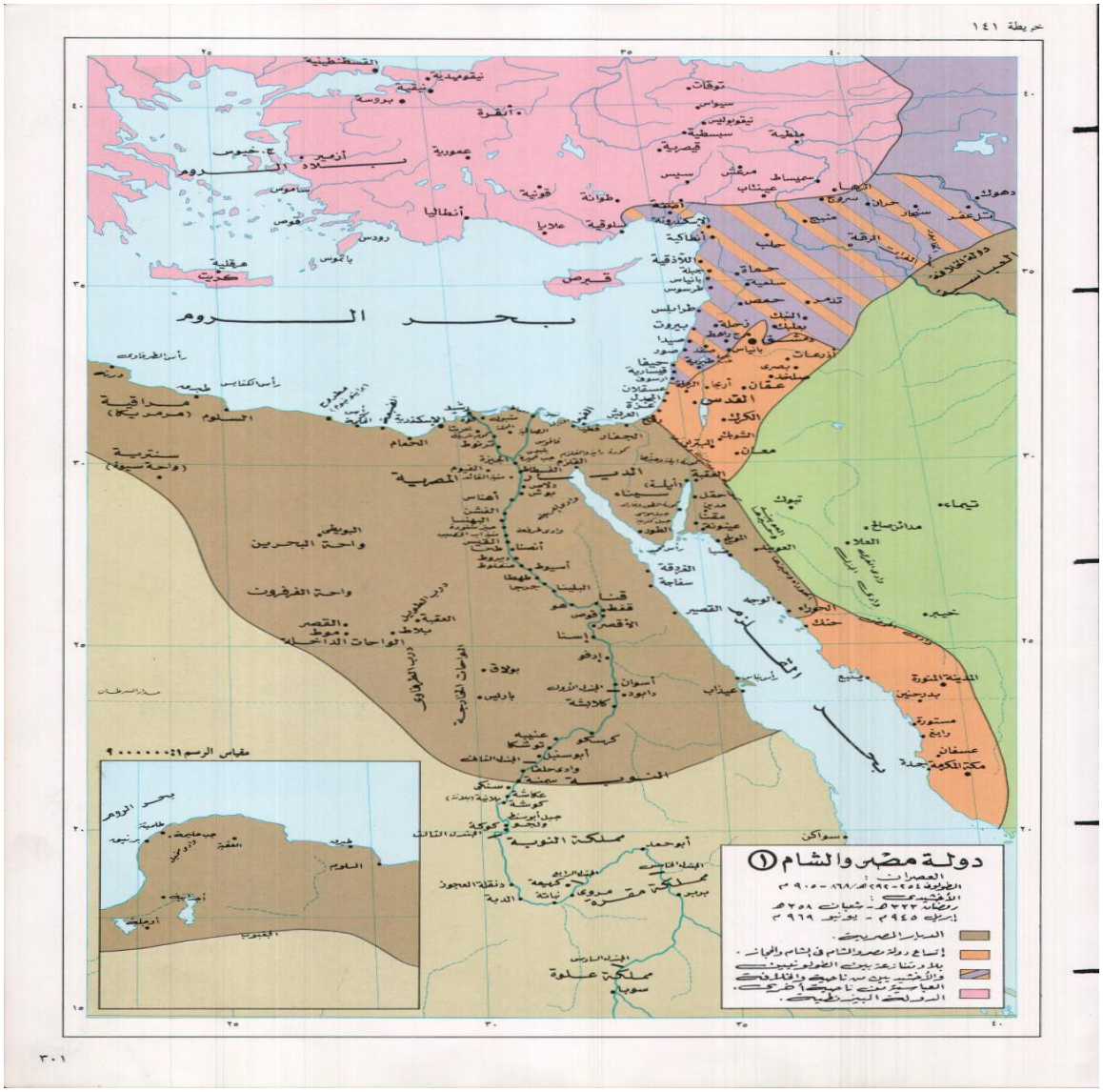

ملحق رقم ١

حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامى، ط١، خريطة رقم١٤١، ص٣٠١، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٨٧م.

المصادر العربية:

﴿القرآن الكريم﴾

١- **الاصطخرى**(إبراهيم بن محمد الفارسي، أبو إسحاق الاصطخري)(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

مسالك الممالك، طبعة ليدن، ١٩٢٧.

٢- **ابن إياس** (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى)(ت٩٠٨هـ/١٥٠٢م):

بدائع الزهور، ج١، مطابع الشعب، ١٩٦٠م.

٣- **البكرى** (عبيد الله بن عبد العزيز)(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ج٣، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.

٤- **البلوى** (أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي)(ت فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى):

سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

٥- **ابن تغرى بردى** (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى)(٨١٣-٨٧٤هـ/١٤١٠-١٤٦٩م):

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٢، ج٣، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. د.ت.

٦- **التنيسى:** (شمس الدين محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسى)(عاش فى الربع الأخير من القرن السادس والربع الأول من القرن السابع):

أنيس الجليس في أخبار تنيس المسمى بتاريخ تنيس، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال، د.ن، ١٩٦٦.

٧- **ابن حوقل:** (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى)(ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م):

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٨- **ابن خزداذبة** (أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه)(ت٢٠٥-٢٨٠ هـ /٨٢٠-٨٩٣م): **المسالك والممالك**، ليدن ١٨٨٩.

٩- **ابن الداية** (أحمد بن أبى يعقوب يوسف بن إبراهيم البغدادي المصرى، كان يلقب بابن الداية)(ت ٣٤٠هـ/٩٥٢م):

المكافأة، صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين وعلى الجارم، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٩٤١م.

١٠- **ابن دقماق** (صـــارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى المعروف بابن دقماق)(ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م):

الانتصار، ج ١، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.

١١- **ابن سعيد المغربى** (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد، العنسي المـدلجي، أبو الحســـن، نور الـدين، من ذريـة عمـار بن يـاســـر)(٦١٠-٦٨٥هـ/١٢١٤-١٢٨٦م):

١- **الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون**، طبعة برلين، ١٨٩٤.

٢- **سيرة أحمد بن طولون نقلا عن ابن الداية**، طبعة بريل، ليدن، ١٨٩٤.

١٢- **الصفدى** (صلاح الدن خليل بن أيبك)(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرنؤوط، وتركي مصـــطفى، ج٦، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2000 .

١٣- **القضاعى** (القاضى محمد بن سلاكة بن جعفر الشافعى – أبو عبد الله – القضاعى)(ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م):

تاريخ القضاعى كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، دراسة وتحقيق جميل عبد الله محمد المصـرى، مركز البحوث وإحياء التراث الإسـلامى، مكة المكرمة، ١٩٩٥م.

١٤- **القفطى (جمال الدينأبى الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف القفطى) (ت٦٤٦هـ/م)**

أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م.

١٥- **ابن العديم** (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة)(ت ٦٦٠هـ/١٢٦٠م):

بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق وتقديم ســـهيل زكار، ج٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

١٦- **القلقشندى**:(أحمد بن على بن أحمد الفزارى القلقشندى)(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

١- **صبح الأعشى**، ج٣، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

٢- **مآثر الأنافة فى معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج٣، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤م.

١٧- **ابن كثير** (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى)(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

البداية والنهاية، ج١١، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

١٨- **الكندى** (عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري)(ت بعد٣٥٥هـ/٩٦٥م):

كتاب الولاة وكتاب القضاة، طبعة الآبا اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

١٩- **المقدسى** (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المقدسى)(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):

أحسن التقاسيم في معرف الأقاليم، طبعة ليدن، ١٨٧٧ م.

٢٠- **المقريزى** (أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى)(٧٦٦-٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م):

١- **المقفى الكبير**، تحقيق محمد اليعلاوى، ج١، ط١، دار الغرب الاسلامى، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

٢- **رسائل المقريزى، النقود القديمة الإسلامية**، تحقيق رمضان البدرى و أحمد مصطفى قاسم، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨م،

٣- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج١، ج٢، ج٤، طبعة بولاق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

١- **أخبار قبط مصر مأخوذة من كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، د.ت.

٢١- **النويرى** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى)(ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

نهاية الأرب، تحقيق نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلى فواز، ج٢٨، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

٢٢- **ياقوت الحموى** (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى)(ت٦٢٦/١٢٢٨م):

معجم البلدان، ج٤، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٢٣- **اليعقوبى** (أحمد إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب اليعقوبى)(ت بعد ٢٩٢هـ/ بعد٩٠٥م):

البلدان، المطبعة الحيدرية، العراق، ١٩١٨م.

<u>المراجع العربية</u>:

١- **إبراهيم أحمد العدوى**: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ط١، دار رياض الصالحين، الفيوم، مصر، ١٩٩٤م.

2- **إبراهيم العيسوى**: التنمية فى عالم متغير(دراسة فى مفهوم التنمية ومؤشراتها)، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م.

3- **أحمد عبد الرازق أحمد:** تاريخ وآثار مصر الاسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٩.

٤- **أحمد عيسى:** تاريخ البيمارستانات، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

٥- **أحمد مختار العبادى و السيد عبد العزيز سالم:** تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.

٦- **أمانى محمد السيد:** مكتبات المستشفيات، ط١، تقديم نبيلة خليفة جمعة، إيبيس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧- **جمال حمدان:** شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، ج٢، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣.

٨- **جيهان ممدوح أمين:** الدولة الطولونية والأخشيدية فى مصر، ط١، سلسلة عصور مصرية، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٧.

٩- **حسن احمد محمود:** حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى، دار الفكر العربى، القاهرة.

١٠- **حسين مؤنس:** ١- أطلس التاريخ الإسلامى، ط١، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢- تاريخ الحضارة المصرية، العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى، مج٢، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

١١- **الزركلى:** الأعلام، ج١، ج٦، ج٧، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

١٢- **زكى محمد حسن:** مصر والحضارة الاسلامية، مؤسسة هندواى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٣- **أبو زيد شلبى:** تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢.

١٤- **السيد عبد العزيز سالم:** دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامى، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٠.

١٥- **سيدة إسماعيل الكاشف:** ١- أحمد بن طولون، الدر القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢- مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨.

١٦- **ضيف الله يحيى الزهرانى:** زيف النقود الاسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكى، ط١، ١٩٩٣.

١٧- **فريد شافعى:** العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٨- **فؤاد فرج:** القاهرة، ج١، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٣.

١٩- **فيليب حتى وآخرين:** تاريخ العرب (مطول): ج٢، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥١م.

٢٠- **عبد الرحمن ذكى:** الجيش المصرى في العصر الاسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢١- **عطية القوصى:** تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

٢٢- **محمد سهيل طقوش:** تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ط١، دار النفائس، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

٢٣- **محمد كرد على:** الإسلام والحضارة العربية، ج٢، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.

٢٤- **محمود عكوش:** تاريخ ووصف الجامع الطولونى، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م.

٢٥- **محمود محمد الحويرى:** مصر فى العصور الوسطى دراسة فى الأوضاع السياسية والحضارية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٦- **مكى شبيكة:** السودان عبر العصور، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٢٧- **وفيق بركات:** فن الحرب البحرية في التاريخ العربى الإسلامى، معهد التراث العلمى العربى، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٥.

المراجع المعربة:

١- **آدم متز:** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، ج٢، ط٥، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، د.ت.

الدوريات العربية:

١- **إيمان مصطفى عبد العظيم:** سياسات الخراج المصرى بين العسف والعدل فى عهدى ابن المدبر وابن طولون "٢٤٧-٢٧٠هـ/٨٦١-٨٨٣م" دراسة تحليلية مقارنة، مجلة حوليات أداب عين شمس، مجلد ٤٤، ٢٠١٦م.

٢- **جمال عبد الرحيم إبراهيم:** دينار طولونى نادر ضرب مصر سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م، مجلة حوليات إسلامية، عدد٣٩، ٢٠٠٥.

٣- **محمد عيد قويدر سلامة القعاقعة:** أوضاع الثغور الاسلامية الشامية في فترة الحكم الطولونى لبلاد الشام ٢٦٤-٢٩٣هـ/ ٨٧٧-٩٠٥م، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية، مج٧، ع١، ٢٠٠٠،

٤- **محمود محمد السيد على خلف:** أبناء الفرغانى رواد علم الهندسة المعمارية في مصر الاسلامية، مجلة الوعى الاسلامى، السنة ٥٤، عدد٦٢٣، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية، القاهرة، ٢٠١٧،

رسائل علمية:

١- **أمينة بيطار:** الحياة السياسية وأهم المظاهر الحضاري، رسالة دكتواره، منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

٢- **مؤمن أنيس عبد الله البابا:** البيمارستانات الاسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية ١-٦٥٦هـ، رسالة ماجستير، منشورة، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية بغزة – فلسطين، ٢٠٠٩م.

٣- **نعيمة سالم عاشور المصراتى:** الدولة الطولونية في مصر والشام، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، ليبيا، ٢٠١٠،

المراجع المعربة:

١-**ستانلى لينبول:** سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن، تقديم أيمن فؤاد سيد، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

المراجع الأجنبية:

1- Corbet Eustace K: The Life and Works of Aḥmad ibn Ṭūlūn, The Journal of

the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, 1891.

2- Fahmy Ali Mohammed : Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the seventh to tenth century A.D,London, Published by: Cambridge University Press. Stable URL: http://www.jstor.com/stable/25197067, 1950.

3- **John Tolan, Gilles Veinstein and Henry Laurens** : Europe And the Islamic World: In Search of Egyptian Gold: Traders in the Mediterranean, Princeton University Press , 2013.http://www.jstor.com/stable/j.ctt1r2f7n.8

4- Lane poole Stanley: Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the khedivial library at cairo, london, 1897.

5- **ROBERT L. TIGNOR**: Egypt within Islamic Empires, Princeton University Press, 2010. https://www.jstor.org/stable/j.ctt7rjf4.11

6- The Encyclopaedia of Islam,New Edition,Volume 1, leiden, Brill, 1986 .

The military efforts of the Egyptian army and their economic and urban effects in Egypt

(254-270 AH/868-883 AD)

The role of the Egyptian army emerged during the era of Ahmed bin Tulun, in securing Egypt's external borders in the east with the Abbasids and Byzantines, and in southern and western Egypt, and eliminating temptations and revolutions; Which gave him the opportunity to complete many economic and urban development projects in Egypt; Thus, he gained the confidence of the army and its commanders, as well as the majority of Egyptian society; Therefore, the Egyptian army at that time was considered one of the most important main axes in Egypt, which enabled Ibn Tulun to make it a special entity within the general Islamic entity - the Abbasid state - and independent in all its affairs; It became a model that followed the example of each of the rulers of Egypt and took it after him.

Keywords: Egyptian army, Ahmed bin Tulun, development projects